تجليات
الشيب والكبر
فى أشعار كسائى مروزى
والشريف الرضى
دراسة مقارنة

إعداد

د. نجات عبد الحميد الشيخ

المدرس بقسم اللغة الفارسية وآدابها

كلية الدراسات الإنسانية

جامعة الأزهر

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على تجليات الشيب والكبر لدى كل من الشاعر الإيرانى كسائى مروزى والشاعر العربى البغدادى الشريف الرضى ودراسة الأشعار التى نظمها كل منهما حول هذا الموضوع دراسة مقارنة ،وتقوم مادة هذه الدراسة على الأشعار التي نظمها الشاعران في هذا الموضوع، وقد إتضح أن من أكثر الصعوبات التى عانى منها كسائى مروزى في مرحلة الشيب،ضعف قوته، وموقف المرأة منه بعد شيب هو كبر سنه، وإحساسه بدنو الأجل و تبين من أشعاره فى هذا الصدد أنه اتجه إلى الزهد والتوبة والتقرب إلى الله عز وجل والتفكر فيما مضى من حياته ومحاسبة نفسه ولومها على ما كان من تقصير، وزجرها عن كل ما لا يليق به فعله بعد شيبه، بينما كشفت أشعار الشريف الرضى عن معاناته وشكواه المتكررة من ظلم الزمان ومرور السنوات به مسرعة دون أن يهنأ بشبابه، وهو يرى في الزمان خصما لدوداً لم يقو على مجابهته فلم يجد فى استطاعته سوى ذم الشيب وتشبيهه بضيف غير مرحب به حيث باغته الشيب وهو فى الثالثة والعشرين من عمره بينما كان لا يزال فى عنفوان الشباب.

الكلمات الدالة :الشيب، الكبر ، كسائى مروزى ، الشريف الرضى .

Manifestations of Gray and Aging in poetry of Al-Kisa'i Al-Marwari & Al-Sharif Al-Radi (Comparative study)

Summary:

The aim of this research is to shed light on the manifestations of gray and aging at each of the Iranian poet Al-Kisa'i Al-Marwari and the Arabian Baghdadi poet Al-Sharif Al-Radi and study their poems which spun around this subject (comparative study), the material of this study based on these poems, which revealed that Most difficulties suffered by Marwari during the period of graying, weakness of his body, and the position of women from his aging, and his feel had it coming, so his poetry revealed in this regard that he turned to Asceticism, Repentance, Embracing God Almighty, and Thinking in past of his life and hold himself accountable and blame it on every dereliction And prevent it whenever it isn't appropriate to do in his aging, while the poetry of Al-Sharif Al-Radi revealed his suffering and repeated complaint of the injustice of time and the passing of years so quickly without bliss with his youth, and he is seen in time a archenemy couldn't against him, only may be vilify aging and analogy it's not welcome guest, because it's sally him in twenty-three years old while he still young.

Tags: Gray, Aging, Al-Kisa'i Al-Marwari, Al-Sharif Al-Radi

المقدمة

إن تجربة الشيب هى تجربة إنسانية لا يكاد يخلو ديوان شعرى من الحديث عنها، والشعر يزداد وهجاً حينما يتأتى من تجربة صادقة يعبر فيها الشاعر عن مكنون ذاته وما ينتابه من مشاعر وانفعالات .

والشاعر الحق هو الذى تتضح فى نفسه تجربته ويقف على أجزائها بفكره قبل أن يبدأ فى كتابته([1])

ومن هنا تأتى هذه الدراسة للكشف عن تجليات الشيب والكبر لدى كل من الشاعر الإيرانى كسائى مروزى والشاعر العربى البغدادى الشريف الرضى ودراسة الأشعار التى نظمها كل منهما حول هذا الموضوع دراسة مقارنة.

فكسائى :هو أبو الحسن مجد الدين ولد بمدينة مرو عام ٣٤١هـق =٩٥٢م وقيل إنه عاش حتى أوائل القرن الخامس الهجرى لهذا مدح آل سامان كما مدح السلطان محمود الغزنوى"٣٨٨-٤٢١هـق =٩٨٨-١٠٣٠م" وفى أواخر حياته عزف عن المديح واتجه الى الزهد والتصوف.

والشريف الرضى هو: محمد بن الحسين بن موسى، وينتهي نسبه إلى الإمام علي (رضى الله عنه) ولد في بغداد عام ٣٥٩هـ = ٩٦٩ م وتوفى بها عام ٤٠٦هـ ١٠١٥م كان شاعراً وفقيهاً وعمل نقيباً للطالبيين حتى وفاته وقد كان من كبار علماء الشيعة ، و عاصر سيطرة

[1]) محمد غنيمى هلال ، النقد الأدبى ، ط١ بيروت ١٩٨٢م ص ٣٨٣.

البويهيين (٣٢٠- ٤٤٧هـ =٩٣٢- ١٠٥٥م) على العراق فى عهد الخلافة العباسية .

وقد حفلت أشعار كل منهما بالحديث عن الصعوبات العديده التى تلازم مرحلة الشيب مثل:

الأثر النفسى السيء للشيب وظهور الشعرالأبيض ، وموقف المرأة الرافض للرجل بعد شيبه، وضعف القوى الجسديه ، والشعور بدنو الأجل وإقتراب الموت غير انه كان لكل شاعر منهما خصائص تميز شعره واسلوبه.

ويهدف البحث إلى الإجابة على الأسئلة الآتية:

١- من أى منظار نظر الشاعران إلى الشيب ؟

٢- كيف تقبل الشاعران بداية ظهور الشيب فى مفرقيهما ؟

٣- هل حاول الشاعران التكيف مع مرحلة الشيب مع ما فيها من سلبيات ؟

٤- هل نجد صوراً مشتركة عن الشيب بين كسائى والشريف الرضى؟

وقد اعتمدت هذه الدراسة على البحث والإستقصاء ثم التحليل النقدى للأشعار والتفسير الذى يفضى إلى النتائج المرجوة.

وفرضيات البحث هى كما يلى:

١- تصور الأشعار معاناة وألم الشاعرين من مرحلة الشيب.

٢- تعبر الأشعار عن بكاء الشاعرين للشباب والحنين لعودته.

٣- توضح موقف المرأة الرافض للرجل بعد الشيب.

٤- لجوء الشاعرين إلى مقاومة الشيب بالخضاب

٥- مرحلة الشيب عند كسائى مروزى هى مرحلة الزهد والتوبة والرجوع إلى الله.

وقد جاءت هذه الدراسة فى تمهيد ومبحثين مسبوقة بمقدمة ومنتهية بخاتمة.

اشتمل التمهيد: على تعريف الشيب والكبر وما له من أثر نفسى على حياة الشعراء .

اما المبحث الأول : فقد تناول التعريف بكل من كسائى مروزى والشريف الرضى والحديث عن الحياة الفكرية فى عصر الشاعرين ومظاهر التأثير والتأثر فيما بينهما.

وفى المبحث الثانى: تناولت تجليات الشيب والكبر فى أشعارهما متمثلة فى عدة محاور هى:

- بكاء الشباب وتمنى عودته .

- الأثر النفسى للشيب.

- عزوف المرأة عن الشاعر عند المشيب.

- ذم الشيب.

- مقاومة الشيب بالخضاب .

- الإستسلام للواقع.

ثم المقارنة الأدبية: موضحة فيها أوجه التشابه والاختلاف بين كسائى والرضى.

أما الخاتمة: فتلخص أهم النتائج التى كشفت عنها الدراسة .

تمهيد

إن المتفحص فيما نظم الشاعران يجد أن لشعر الشيب نصيبا وافرا من إنتاجهما الشعرى، ولذلك لجأت إلى تعريف الشيب حتى تتضح الصورة أمام المتلقي .

الشَّيْبُ :بَيَاض الشَّعْرِ، أَى الشَّعْرُ الأَبْيَض في الرأْس أَو اللحية ، اشتعل رأسه شيبا : عم الشيب رأسه ، تعبيرا عن الشّيخوخة والشيب معروف قليله وكثيره بياض الشعر، والمشيب مثله، وربما سمي الشّعَرُ نفسه شيبا.([1])

و يقال : شاب فلان شيبا وشيبة ابيض شعره، ويقال :شاب الشَّعر، وشاب الرأس، فهو شائب، وأَشيب، والأكثر أن يقال للرجل :أَشيب، وللمرأة شمطاء وقيل الشَّيب بيا ض الشَّعر، والمشيب :دخُولُ الرجلِ في حد الشَّيب . ([2])

---

[1]) مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز ، الهيئةالعامة لشئون المطابع الأميريه مادة الشيب ، القاهرة ١٩٩٣م ص٣٥٦

[2])ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مادة شيب، ج ١، طبع ٢٠٠٣م .ص ٤٩٤ .

- ابو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى ، تاج اللغة وصحاح العرب، تحقيق محمد محمد تامر ، دار الحديث القاهرة ٢٠٠٩م ص ٦٢٥.

الكبر أو الشيخوخة:

ونظرًا لاقتران المفهوم عند العامة بين الشيب والشيخوخة، وورود المصطلحين على ألسنة الشعراء، أعرِّج على بيان مفهوم الشيخوخة ، فالشيخوخة والكبر والهرم من المرادفات المقترنة بالشيب.

يقال: شاخَ الرَّجُلُ يشيخ شيوخة، فهو شيخ، وجمعه شيوخ والمتعارف عليه هو أن الشيخ يقال لمن طعن في السن، أو استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب، وقيل: هو شيخ من خمسين إلى آخره، وقيل: هو من إحدى وخمسين إلى آخر عمره، وقيل: هو من الخمسين إلى الثمانين([1]).

ومما يدل على أن الشيخوخة والكبر تطلق أحياناً على الشيب ما ورد فى القرآن الكريم من استعمال لفظ الشيخوخة بدلاً من الشيب يقول تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾([2])

وقد أضاف القرآن الكريم إلى بياض الشَّعر وهو السمة التي تمثل المشيب عند الشُّعراء وهن العظم الذى هو من علامات الكبر، فيقول الله

---

[1]) ابن منظور، لسان العرب، مادة شيخ ، ج ٨، ص ١٧٤.

[2]) قرآن كريم سورة غافر، آيه٦٧.

تعالى على لسان زكريا عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾(١)

فذكر ضعف البنية، وتهدم الجسم ووهن العظم إلى جانب بياض الشَّعر وهذا كله من علامات الشيخوخة والكبر.

والشيخوخة هى ذهاب القوى، وضعف البنية، فالمرء فيها أقرب إلى الاكتئاب والأسى منه إلى الفرح والأمل، وأدنى إلى الضعف والعجز منه إلى القوة والاقتدار فهي خطام المنية(٢) ومطية الأجل وتمهيد للحُمام ، فيها ينحل الجسم ويثقل السمع ويكل البصر(٣)

بيد أن الربط بين الشيب المتمثل فى بياض الشعر والمشيب المتمثل فى الكبر والشيخوخة أمر مجاف للحقيقة، فكم من أناس في مقتبل العمر ودخل الشيب على مفارقهم ومن الأمثلة على ذلك شاعرنا الشريف الرضى فيقول في حلول الشيب برأسه وهو في عمر الثالثة والعشرين:

عجلت يا شيب على مفرقي واي عذر لك ان تعجلا

وكيف أقدمت على عارضٍ ما استَغرق الشَّعر ولا استكملا

---

١) قرآن كريم سورة مريم، آيه ٤.

٢) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبين، ت ٢٥٥ هـ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون جـ٢، القاهرة،٢٠٠٣م، ص٣٧٨.

٣) شهاب الدين، النويري ت ٧٣٣هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ ٢، دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي مصر(بدون) ص ٢٤ .

كُنت أرى العشرِين لي جنة من طارق الشَّيب إذا أقبلا (١)

وعلى أى حال فإن الشيب أخطر وأحرج مرحلة في حياة الإنسان، فهي خاتمة المراحل، يتعرض فيها لهزات عنيفة داخليا وخارجيا، تكاد تفقده صوابه ويتحسر فيها على عمرٍ مضى وشباب ولى ورحل.

ففي الشباب يسعي الإنسان نحو العمل والإنجاز وتحقيق الذات، ولكن في مرحلة المشيب لم يعد الوقت مناسبا لذلك، فقد حان الوقت الذي يخرج فيه الكبير من هذا الميدان ليدخل في مرحلة التقاعد، تلك المرحلة التي يعاني فيها الإنسان أزمة كبيرة تشكل لديه مجموعة من المشكلات النفسية والاجتماعية والشعور بالفراغ وبدء عزلته تدريجيا عن المجتمع وابتعاد ذوي الحاجات ممن كانوا يلجأون إليه لقضاء حاجياتهم عندما كان في العمل، كل هذا قد يسبب الإحساس بفقدان أهميته للمجتمع وعدم فائدته، ويترتب على هذا التغير خمول جسمي وعقلي والاستسلام لأفكار الوساوس وأوهام العلل، وقد يصاحب ذلك حالة اكتئاب الأمر الذي ينتج عنه اضطرابات في السلوك إما

بالانعزال والاكتئاب أو بالعدوانية ضد المحيطين به بإسقاط أسباب هذا الضعف عليهم (٢)

---

١) الشريف الرضى، ديوانه، شرح د. يوسف شكري فرحات، جـ٢ دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٥، م ص٢٠٠٠.

٢) محمد سيد فهمي ، الرعاية الاجتماعية لكبار السن ، دارالمعرفة الإسكندرية ، ١٩٩٥م، ص ٨٢،٨٣.

==

كما يفضي الضعف العام الذي يعاني منه الإنسان في هذه المرحلة إلى مشاعر سلبية تجعله يشعر بدنو الأجل وإقتراب النهاية والخوف والقلق على ما تبقى من العمر والخوف من المرض ومن الوحدة ([1])

وليس كل ما في مرحلة المشيب سلبيا وغير محمود، وإنما هناك بعض الجوانب الإيجابية المضيئة فيها؛ حيث ينظر للكبير في السن بعين الاحترام والوقار، لمسيرته الطّويلة التي قضاها في غمار الحياة، وجعلته يخرج منها بالحكمة والخبرة، الأمر الذي يجعل من الشّيوخ مرجعا للشباب المقبلين على الحياة، ينهلون من خبرتهم وحكمتهم حتى يفيدوا منها.

وإن كان هذا هو حال الإنسان العادى فى الشيب ، فكيف هو الوضع بالنسبة للشاعر ذى الإحساس المرهف والذى سمى شاعراً لكونه يشعر بما لا يشعر به غيره ([2])،حتما سيكون التأثر أشد وأقوى ذلك لكون الشاعر يمتاز بالذكاء والحساسية الشديده والقدرة على التعبير عما فى نفسه([3]).

==

- فخرى الدباغ ، أصول الطب النفسيى، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ،١٩٧٧م. ص٢٩٢
- فؤاد البهى السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، دار الفكر العربى ط٢ ، القاهرة ،١٩٦٨.ص٣٥٢.

[1]) حامد عبد السلام زهرا ن، التوجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٥م ، ص ٤٢٦.

[2])أبو على الحسن بن رشيق القيروانى، العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق، محمد محى الدين، دار الجيل ، بيروت ،ط٤ ١٩٧٢م، ص١١٦.

[3]) محمد كمال الدين يوسف، الأدب والمجتمع، تقديم يحى حقى ، القاهرة ١٩٦٢م ، ص٦٧.

وقد بدا هذا التأثير واضحاً لدى كل من كسائى مروزى والشريف الرضى، الذى تبين من أشعارهما أنهما لم يكونا راضيين عن هذا الضيف الثقيل الظل، أو هذه المرحلة الواهنة من العمر فالشيخوخة زائر ثقيل لا يترك صاحبه حتى يحل محله زائر الموت.

المبحث الأول

التعريف بالشاعرين

أولاً: التعريف بكسائى مروزى :

اختلف أصحاب التذاكر حول كنيته ولقبه، فيذكر نظامى عروضى سمرقندى أن كنيته آبو الحسن([1]) بينما ذكر آذر بيگدلى آنه آبو اسحاق ولقبه مجد الدين([2]) وورد فى دمية القصر أنه أبو الحسن على بن كسائى مروزى([3])

كما اختُلف حول سبب تخلصه بكسائى فذكر البعض أن سبب تخلصه بكسائى أنه ارتدى كسوة الزهد على جسده وعمامة الفقر على رأسه ، بينما ذهب البعض أنه كان ينسج أو يبيع الكساء ([4])

ولد كسائى مروزى فى مدينة مرو عام ٣٤١هـ ق الموافق ٩٥٢م وذلك وفقاً لما ورد فى إحدى قصائده التى ذكر فيها صراحة أنه نظمها عندما بلغ الخمسين من عمره قائلاً:

---

[1]) احمد بن عمر على نظامى عروضى سمرقندى ت ٥٥٠هـ ق، چهارمقاله، به كوشش محمد معين،تهران ١٣٢٨هـ ، ٤٤.

[2]) مهدى درخشان"دكتر" اشعار حكيم كسائى مروزى وتحقيق در زندگانى واثار او، تهران ١٣٧٥ هـ ش. ص٣.

[3])على بن الحسن بن أبى الطيب الباخرزى ت ٤٦٧هـ، دمية القصر فى عصرة أهل العصر، تحقيق محمد التونجى ، جـ١ دار الجيل بيروت ١٩٩٣ ص٦٧٩.

[4]) مهدى درخشان"دكتر" اشعار حكيم كسائى مروزى وتحقيق در زندگانى واثار او، ص٣.

- فى ثلثمائة واحدى وأربعين من دورة الزمان، يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال .

- اتيت إلى هذا العالم لأقول وأعمل ، وأتغنى بحديثى وأبتهج بالنعمة والمال([1])

أما تاريخ وفاته فمن المؤكد أنه عاش حتى عام ٣٩١هـ ق حيث ورد فى أحد ابيات تلك القصيده أنه بلغ الخمسين من عمره واذا أضفنا الخمسين إلى عام مولده ٣٤١هـ ق كما ذكره يكون تاريخ نظم القصيده هو عام ٣٩١هـ ق، بينما يواجهنا خلاف حول وفاته أيضاً فيذكر البعض أنه توفى عام ٣٩٣هق = ١٠٠٢م ، وذهب آخرون أنه عاش حتى عام ٤١٩هـ ق= ١٠٢٨م ([2])

ولذلك فهو يعد من شعراء النصف الثانى من القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين ، وقد مدح آل سامان كما مدح السلطان محمود الغزنوى(٣٨٨- ٤٢١ هق =٩٩٨- ١٠٣٠م)([3])

---

[1]) به سيصد وچهل ويک رسيد نوبت سال چهار شنبه وسه روز باقى از شوال
بيامد به جهان تا چه گويم وچه كنم سرود گويم وشادى كنم به نعمت ومال.
. كسائى مروزى ، ديوان اشعار، مركز تحقيقات رايانه اى قائمية اصفهان، چاپ ١٣٧٤، ص٣٢.

[2]) سيد مهدى طباطبايى، بررسى زندگى كسايى مروزى بر اساس خوانشى جديد از قصيده لاميه، ادبيات وزبانها، تاريخ ادبيات، پاييز ١٣٨٨، شماره ۶.
- ادوارد جرانفيل براون ، تاريخ الأدب فى إيران ، ترجمة ، ابراهيم أمين الشواربى، جـ٢ ، المشروع القومى للترجمه ، القاهرة ٢٠٠٥م، ص٢٠٠.

[3]) رضا زاده شفق، تاريخ الأدب فى إيران ، ترجمة، محمد موسى هنداوى. دار الفكر العربى القاهرة ، ١٩٤٧م ص ٣٤،٣٥.

ويذهب البعض أنه عاش إلى أن بلغ أرذل العمر، وعاصر ناصر خسرو (٣٩٤هق – ٤٨١ =١٠٠٣– ١٠٨٨م) وأن ناصر خسرو تعرف فى بداية شبابه على كسائى فى مرو وتبادلا المراسلات والأشعار ونظم ناصر خسرو أشعاراً فى معارضته أو أن خصومة قامت بينهما ([1]) واستدل أصحاب هذا القول على ورود أسم كسائى فى أكثر من موضع فى أشعار ناصر خسرو منها قوله:

- لو رآى الكسائي فى منامه هذا الديباج المنمق من أشعارى ، لتمزق كساؤه خجلاً واستحياء من آثارى.([2])

- وكلامه " أى ناصر خسرو" هو الديباج الرومى ،،، إذا كان كلام الكسائى الشهير هو الكساء العادى.([3])

تعلم كسائى فى بداية حياته العلوم السائدة فى عصره واتقنها بمهارة بالغة، وتذكر المصادر أن مدينة مرو مسقط رأسه كانت آنذاك حاضرة للعلم والثقافة([4]).

---

[1])جعفر شعار" دكتر" گزينه اشعار كسائى مروزى، تهران ١٣٧٠هـ ش، ص١٢.

- محمد غنيمى هلال ، مختارات من الشعر الفارسى، راجع الترجمه ، أحمد رامى، القاهرة ١٩٦٥م، ص٤٤.

[2]) گر بخواب اندر كسائى ديدى اين ديباى من
سوده كردى شرم وخجلت مر كسائى را كسا.

[3]) ديبهٔ رومى است سخنهاى او گر سخن شهره كسائى كساست

- ادوارد جرانفيل براون ، تاريخ الأدب فى إيران ، ترجمة ، ابراهيم أمين الشواربى، جـ٢ ، ص٢٠١.

[4]) مهدى درخشان"دكتر" ، اشعار حكيم كسائى مروزى، ص١٢.
http://news.irib.ir/2014-12-10-06-21-12/2015-01-19-09-52-14/item/65248

أشعار كسائي وأسلوبه:

كان كسائي في بداية أمره ينظم الشعر في مدح الحكام والساسة بغرض التكسب والهبات؛ فمدح آل سامان وخاصة العتبي وزير نوح بن منصور ([1])الذي أتصل به كسائي ونال عطاءه فيذكر السوزني السمرقندي ذلك قائلاً:

- لقد صنع العتبي مع الكسائي خير صنعة ، حتى يظل العتبي خالد الأسم إلى يوم القيامة من مديحه([2])

وذكر بعض المستشرقين أن من بين ممدوحيه أيضاً السلطان محمود الغزنوي وخلفاء العباسيين([3])

ثم حدث له تحول روحي كان موجباً لحدوث تحول فكري وعقائدي لدى الشاعر فهجر حياة اللهو والعبث وعزف عن المديح وندم على أنه امضى شطراً كبيراً من حياته في مدح الحكام والساسه وعن ذلك يقول كسائي :

---

[1]) هو عبد الله أو عبيد الله بن أحمد بن حسين العتبي من وزراء السامانيين تولى وزارة نوح بن منصور السامانى عام ٣٦٥هـق وظل في هذا المنصب حتى قتل ٣٧٢هق.

- مهدى درخشان"دكتر" ، اشعار حكيم كسائى مروزى،ص١٤.

[2]) كرد عتبى با كسائى همچنان كردار خوب ماند عتبى از كسائى تا قيامت زنده نام.

- رضا زاده شفق، تاريخ الأدب في إيران ، ترجمة، محمد موسى هنداوى،ص٣٤.

[3]) سيد مهدى طباطبايى، بررسى زندگى كسايى مروزى بر اساس خوانشى جديد از قصيده لاميه، ادبيات و زبان ها، تاريخ ، ادبيات، پاييز ١٣٨٨، شماره ٦.

- مهدى درخشان"دكتر" ، اشعار حكيم كسائى مروزى،ص١٥.

- تشوهت روحى فى مدح الخلائق ، فأنا جدير باللوم والمذمة لأنى لم أمدح سوى الخلق.(١)

ثم اتجه إلى الزهد والتعفف وولع بشعر التصوف والحكم والوعظ وذكر مناقب آل البيت خاصة الإمام على كرم الله وجهه(٢)

كان كسائى يعتنق مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية بل أنه كان متعصباً لهذا المذهب وهو أول شاعر شيعي ينظم الشعر باللغة الفارسية فى عاشوراء وموقعة كربلاء (٣)

وقد ظل ديوان كسائى موجوداً حتى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى ثم فقد فيما بعد ، ويمكن تقسيم أشعار كسائى إلى مرحلتين ، الأولى مرحلة الشباب ومدح أرباب البلاط ، والثانية مرحلة الشيب والإتجاه إلى الزهد والوعظ وذكر مناقب آل بيت النبى ﷺ

أما بالنسبة لموضوعات شعره وقوالبه ، فقد نظم فى قوالب القصيد والرباعى والقطع

---

١) به مدحت كردن مخلوق روح خويش بشخودم
نكوهش را سزاوارم كه جز مخلوق نستودم
- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص٣٤

٢) محمد غنيمى هلال ، مختارات من الشعر الفارسى، ص٤٣.

٣) يحيى مقدّسان، ولادت كسايى مروزى شاعر اهل بيت عليهم السلام، گلبرگ، آبان ١٣٨٦، شماره٩٢.

وتتنوع موضوعات شعره بين المديح ووصف الطبيعة وذكر مناقب آل البيت والزهد والوعظ والحكمة والنصيحة وضرب المثل وأشعار الشيب والهرم .([1])

اسلوبه:

اتبع كسائي في نظم أشعاره الإسلوب الخراساني مما جعلها تتميز بالسلاسة والسهولة ، وكان كسائي مصوراً بارعاً في الوصف له تشبيهات لطيفة جذابة، فنراه يصف مفردات الطبيعة كالصباح والنرجس والخميلة والمطر والشقائق والطيور بالإضافة إلى وصف أصوات الطيور والحيوانات وغيرها من العناصر الأخرى باسلوب قلما وجد له نظير، وربما كان ذلك هو سبب شهرته وتخليده ([2]).

وكتب الدكتور شفيعي كدكني([3])عن كسائي قائلاً" من حيث صور الخيال وأنواع التصوير لمفردات الطبيعة فإن كسائي هو الأفضل بين

---

[1]) جعفر شعار" دكتر" گزينه اشعار كسائي مروزي، ص١٢

- مهدي درخشان"دكتر" ، اشعار حكيم كسائي مروزي،ص١٧

- ميرجعفري، سيداكبر؛ اصلاحي، شعر و ادب: كسايي مروزي، علوم تربيتي، رشد معلم، مهر١٣٨٨ –

شماره٢٤٢، ص٢٨،٢٩.

[2]) – مهدي درخشان"دكتر" ، اشعار حكيم كسائي مروزي،ص٢٤.

http://news.irib.ir/2014-12-10-06-21-12/2015-01-19-09-52-14/item/65248

[3]) محمد رضا شفيعي كدكني هو أديب و شاعر إيراني .ولد في كدكن عام ١٩٣٩م. درس في جامعة طهران ، له العديد من الدواوين الشعرية والمؤلفات النثريةالمطبوعة.-محمد رضا شفيعي كدكني ، الأدب الفارسي منذ عصر الجامي وحتى ايامنا ترجمة وتقديم ، بسام ربابعة، الكويت ٢٠٠٩م ،المقدمة.

شعراء القرن الرابع الهجرى، وقد استفاد فى صوره و تشبيهاته من استخدام الألوان وتوزيعها بشكل مناسب من خلال وصفه للمناظر"([1]) فنراه يمزج بين ألوان الأخضر والأحمر والأصفر والبنفسجى فى ألوان الأزهار والاشجار ويستخدم الأبيض والأسود فى السحب والشمس والقمر، ولم تقتصر تشبيهاته على وصف الطبيعة فحسب بل **استخدمها فى وصف الشيب وأعراضة من بياض الشعر والسعال وضيق النّفس وغيرها مما سوف يأتى ذكره فى موضعة من البحث.**

كما كتب المرحوم بديع الزمان فروزانفر المحقق المعاصر عن كسائى قائلا:" كان كسائى من شعراء ايران العظماء ورغم أن ديوانه لم يصل إلينا كاملاً إلا أن ما وجد من أشعاره يظُهر بوضوح مدى سعة فكره و دقة خياله وحسن بلاغته وبراعته فى الوصف والتشبيه"([2])

وقد استقبل العديد من الشعراء أشعار كسائى ونظموا على غرارها سواء من عاصروه من الشعراء أو التابعين له ،أمثال فرخى السيستانى(ت ٤٢٩هـق =١٠٣٧م) وعنصرى البلخى(ت ٤٣٢هـ ق ١٠٣٩م) وقطران التبريزى (ت ٤٦٥هـ ق= ١٠٧٢م) وأنورى (ت٥٨٣هـ ق = ١١٨٧م) وسعدى الشيرازى (ت ٦٩١هـ ق =١٢٩١م)وغيرهم.([3])

---

[1]) محمد رضا شفيعى كدكنى ، صور خيال در شعر فارسى،چاب سوم ، تهران ١٣٦٦هـ ش ، ص ٤٣٠.

[2]) http://www.afghanismailis.com/?p=53

[3]) مهدى درخشان"دكتر" ، اشعار حكيم كسائى مروزى، ص٢٣

أما بالنسبة لأشعاركسائى المذهبية فعلاوة على قيمتها الفنية فإنها من وجهة نظر الباحثين فى التاريخ الإجتماعى لإيران تعد ذات أهمية بالغة فى نشر انماط فكرية متنوعة فى خراسان آنذاك ، فقد جمع كسائى فى هذه الأشعار بين تصوير الأوضاع المذهبية والسياسية والاجتماعية للقرن الرابع الهجرى وأظهر العديد من مشكلات تلك الفترة فهى بمثابة مصدر للتأريخ الإجتماعى لتلك الفترة.([1]) لكن لم نر مجالاً لذكر نماذج من تلك الأشعار الآن حيث أنها خارج موضوع البحث-

ثانياً: التعريف بالشريف الرضى

الشريف الرضي: هو السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الإمام موسى الكاظم، ويصل نسبه إلى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه([2]).

وُلد الشريف الرضي في عام (٣٥٩ هـ ق =٩٧٠م) بمدينة بغداد، وتوفي عام (٤٠٦هـ ق = ١٠١٦م) ودفن في داره الكائنة في محلة الكرخ ببغداد.[3]

نشأ الشريق الرضى في أحضان أبوين جليلين بتربية ايمانية ممزوجة بمحبة أهل البيت، وتعلم في صغره العلوم العربية والبلاغة

---

[1]) http://news.irib.ir/2014-12-10-06-21-12/2015-01-19-09-52-14/item/65248

[2])أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق دكتور احسان عباس المجلد الرابع،دار صادرات بيروت، ص٤١٤.

[3]) الحافظ أبو بكر على بن الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، جـ٢، ط١، القاهرة ١٩٣١م، ص ٢٤٦.

والأدب، والفقه والكلام ، والتفسير والحديث ، على يد مشاهير علماء بغداد([1])

كان الشريف الرضي فقيهاً متبحراً، ومتكلماً حاذقاً ، ومفسراً لكتاب الله، وحديث رسولهﷺ، وأديباً بارعاً متميزاً، وتولى نقابة الطالبيين وإمارة الحج ببغداد عام (٣٩٧ هـ ق= ١٠٠٧ م) كما كرمه بهاء الدولة البويهى بالرضى ذى الحسبين ولقبه بالشريف([2]).

وقد شهدت حياة الشريف الرضى مأساة كان لها أكبر الأثر فى حياته وفى تفتح قريحته الشعرية المبكرة فولد الرضى وعاش فى فترة من أحلك الفترات التى مرت بها بغداد فكانت الفتن تشتعل فيها بين الديلم والأتراك وبين ملوك بنى بويه المتسلطين على شئون الخلافة، وما كادت عينا الرضى تتفتح على الدنيا حتى أصاب والده حادثة من تلك النكبات هذه الحادثة هي اعتقال أبيه وحبسه في قلعة فارس من سنة ٣٦٩ إلى سنة ٣٧٦ هـ ق كما صودرت أملاكه ونزعت عنه إمارة الحج،ولم يكن الشريف الرضى قد تجاوز العاشرة من عمره آنذاك([3]).

ومنذ ذلك الوقت بدأ الرضى فى نظم الشعر وكانت أولى قصائده فى مدح أبيه وتصوير النكبة التى حلت به فقال:

---

[1]) جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى ، انباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، جـ٣ ، القاهرة ١٩٥٥م، ص ١١٤

[2]) عبد الفتاح محمد الحلو ، مقدمة ديوان الشريف الرضى ، جـ١ ، الطبعة الأولى سلسلة التراث ، الجمهورية العراقية ١٩٧٦م، ص١٢.

[3]) زكى مبارك، عبقرية الشريف الرضى، القاهرة ٢٠١٢م ص٩٨.(بتصرف)

نصافي المعالى والزمان ونهض بالآمال والجد قاعدا(١)

أما عن عقيدته ومذهبه فقد نشأ الرضى بين قوم من الشيعة الإمامية وتلقى ثقافته الفقهية على علمائهم وهو بنشأته البيئة التى أحاطت به شيعى إمامى إثنى عشرى وقد أكد هو هذه العقيده حين ألف فى حداثة الشباب كتاباً فى " خصائص الأئمة" ومما يدل على ذلك من أشعاره قوله:

أصبحت لا أرجو ولا أبتغى فضلاً ولى فضلٌ هو الفضلُ

جدى نبى وإمامى أبى ورايتى التوحيد والعدلُ(٢)

شعره

كان الشريف الرضي عزيز النفس صاحب كبرياء، وانعكس ذلك في شعره الذي جاء مترفعاً ومعتزاً به وبشخصيته، رفض استغلال شعره من اجل التكسب، شأن كثير من الشعراء، فلم تكن علاقته بالملوك والأمراء علاقة الشاعر الذي يسرد على مسامعهم الشعر فيجزلوا له العطايا والهبات، وإنما كان يسمو بشعره على ذلك و يمتاز شعر الشريف الرضي بأنه مطبوع بطابع البلاغة والبداوة والبراعة وعذوبة الألفاظ التي تأخذ بمجامع القلوب، وتميز شعره بجودة الألفاظ وحسن صياغتها وديباجتها وخلوها من عيوب التعبير أو سقطات اللغة، بالإضافة لبعدها عن التكلف والابتذال، وقال عنه جماعة من أهل الأدب إنه أشعر قريش، ونظم الشعر

---

[١])الشريف الرضى ، ديوان الشريف الرضى ، جـ١ ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى سلسلة التراث ، الجمهورية العراقية ١٩٧٦م، ص٣٣٣.

[٢]) نفس المرجع ، ص٤٣.

في مختلف الأغراض الشعرية وأجاد بها جميعاً، وظهر في أسلوبه الشعري تمجيده لمعاني الفخر والكبرياء، والطموح والفروسية، بالإضافة للفخر بالآباء والأجداد، والحب والغزل وقد حرص الشريف الرضي أن يؤكد على معاني العفاف في غزله، كما جاء في شعره البكاء على الأهل والأحباب ووصف تقلبات الزمان([1])

وقد اتبع الرضى فى أشعاره الإتجاه القائم على الصور الشعرية كطاقة إيحائية بحد ذاتها فتبرز فى اشعاره الصور والتشبيهات بشكل ملموس([2])

نظم الرضى الشعر في مختلف الأغراض الشعرية فقدم أشعاراً في المدح والفخر والرثاء والغزل والزهد، وقد شهدت قصائده على مدى تدينه فابتعد مدحه عن المبالغة والتملق من أجل التكسب، وابتعد غزله عن الفحش والعبث، كما يكاد يخلو ديوانه من الهجاء .

الشريف الرضى والسياسة:

عاصر الشريف من الخلفاء العباسيين الطائع(٣٦٣- ٣٨١هـ ق=٩٧٣- ٩٩١م) والقادر(٣٨١-٤٢٢هـ ق=٩٩١-١٠٣١م) كان الشريف يمدح الخليفة الطائع بصدق وإخلاص، ورغم أن الطائع كان خليفة يستضعفه البويهيون(٣٢٠- ٤٤٧هـ =٩٣٢- ١٠٥٥م) أشد الاستضعاف، فقد رأى فيه الشريف رجلًا عربياً هو البقية من مجد بني

---

[1]) جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى ، انباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، جـ٣ ، ص١١٥.

. الحافظ أبو بكر على بن الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، جـ٢، ط١، ص ٢٤٧.

[2]) أدونيس ، ديوان الشعر العربى ، المجلد الأول، القاهرة ٢٠٠٦م ، ص٣٢.

العباس ومن ذلك يتضح أن مدح الرضى لخلفاء بنى العباس يختلف عن مدحه للملوك والأمراء والوزراء فكان مدحه للملوك والوزراء مدحاً لأصحاب السلطة الفعلية ، فهو في مدائحه للخلفاء والوزراء والملوك رجل سياسة، والسياسة لا تنافي الصدق في جميع الأحوال فهو كان يصادق ويعادى في سبيل وطنه الذي جار عليه الزمان في تلك العهود. وكان يحاول أن يغنم لوطنه أصدقاء بين أولئك الذين حولوا مناحى العراق إلى معسكرات، كما أنه من خلال هده المدائح كان يطمح إلى تعزيز مكانته السياسية والدينية ، خاصة وأنه كان أمير الحج ونقيب الطالبيين وهذه المناصب لم يكن بوسع خلفاء العباسيين البت فيها دون أذن البويهيين ، وقد تخطت صلاته بالبويهيين مجرد المديح فقد خطب الرضى ابنة الوزير نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهى (٣٨٨-٤٠٣هـ=٩٩٨-١٠١٢م) زيادة فى التقرب منهم وكانت هذه المصاهرة وسيلة سياسية أخرى([1]) وقد ظل الرضى موصول الأواصر بمودة بهاء الدولة نحو عشرين سنة، استطاع بهاء الدولة خلالها أن يثبت قواعد الملك في العراق والموصل وخوزستان وشيراز وكرمان، واستطاع أن يطمئن على بغداد فيتركها ويقيم في خوزستان، ويولي عليها حاكمًا يسميه عميد العراق ومعنى ذلك أن العراق شهد في عهده أطياف الرخاء.([2])

ويراودنا هنا سؤال كثيراً ما أثير حول شخصية الرضى وهو : هل كان الرضى يطمح فى الخلافة ويسعى إليها ؟

---

[1]) الشريف الرضى ، ديوان الشريف الرضى ، ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو جـ١ ص ٢٦

[2]) زكى مبارك، عبقرية الشريف الرضى،ص ١٦٢،١٦١

والجواب هو أنه من المؤكد أن الرضى كان بالفعل يطمح إلى تولى الخلافة، ويرى فى نفسه أهلاً لها، بل يعتبر أنه أولى بها من غيره، بسبب إنتسابه إلى آل بيت النبوه ، وقد صرح بذالك فى قصيدة كتبها إلى الخليفة العباسى القادربالله قائلاً:

عطفاً أمير المؤمنيين فإننا فى دوحة العلياء لا نتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا فى المعالى معرق

الا الخلافة ميزتك فإننى أنا عاطلاً منها وأنت مطوق(١)

كما ساء الرضى أن يرى الخلافة يتحكم بها الأعاجم وأن العرب أولى بها وهو أولى العرب وما على الشريف من لوم في أن يسلك ذلك المسلك المقبول؛ ليكون صلة الوصل بين فارس والعراق. ولكنه خاب في مسعاه(٢)

---

١) الشريف الرضى ، ديوان الشريف الرضى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو جـ١، ص ٢٧

٢)زكى مبارك ، عبقرية الشريف الرضى،ص١٦٣.

مؤلفاته:

ترك الشريف الرضي مؤلفات قيمة تدل على غزارة ثقافته و سعة علمه، من هذه المؤلفات: ديوان شعر ضخم في مجلدين، المتشابه في القرآن، مجازات الآثار النبوية، نهج البلاغة للإمام علي "وهو عبارة عن تجميع وتصنيف لخطب وأقوال الإمام علي"، تلخيص البيان عن مجازات القرآن، الخصائص، الحسن من شعر الحسين ، مختارات من شعر ابن الحجاج في ثمانية أجزاء، أخبار قضاة بغداد، ورسائل الشريف الرضي في ثلاث مجلدات، وكتاب سيرة والده، ومختار شعر الصابئ، ومجموعة ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابئ من الرسائل.([1])

التأثير والتأثر:

سوف أتبع فى هذه الدراسة مبادئ المدرسة الأمريكية التى اهتمت بدراسة التوازى والتقارب بين الآداب ولم تلتفت إلى علاقة التأثير والتأثر المباشرة بين الأشخاص بل ركزت على مجمل ما حققتة البشرية من إنجاز عبر الزمان والمكان ومن خلال خطوط متناسقة ، تلك الرؤية التى تحطم

---

[1]) جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى ، انباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،جـ٣ ، ص١١٥.

- خير الدين الزركلى ، الأعلام – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين،ج،٦، بيروت لبنان. ص٩٩.
- مقدمة الديوان ، ص٩٣ وما بعدها .

كل الحواجز التى وضعتها المدرسة الفرنسية([1]) التى يتجلى من منظورها "التأثير الأدبي" في نوعية الدراسة المقارنة التي تسعى إلى تتبع وكشف العلاقة المتبادلة فيما بين اثنين أو أكثر من الأعمال الأدبية وهذا النوع من الدراسة هو حجر الأساس للمفهوم الفرنسي للأدب المقارن وهو وجود "التأثير المباشر" بين أدبين تفصل بينهما حدود المكان واللغة، إذا ثبت وجود اتصال فعلى بين مؤلفين اثنين ينتميان إلى هذين الأدبين؛ أي أن الدراسة المقارنة لا تصح إلا إذا ثبت إطلاع كاتب عمل أدبي معين على نص أصلى لمؤلف آخر أو وجود علاقة مباشره تربطه به([2]) – وهو ما يصعب تحقيقة فى كثير من الدراسات الحديثة– بينما وجه المنظرين الأمريكيين جل اهتمامهم إلى تكوين نموذج يشتمل على نوع من العمل البينى المشترك والهدف من ذلك هو التخلص من التعصب السياسي القومى.([3])

وذلك حيث لا يوجد بين أيدينا ما يثبت بالدليل القطعى أن أحد الشاعرين قد التقى بالآخر أو اطلع على أشعاره وتأثر بها بشكل مباشر، بيد أنه يوجد العديد من الشواهد التى تدل على الصلات الأدبية والتاريخية والتأثير المتبادل بين الأدبين العربى والفارسي فى الفترة التى عاش فيها الشاعران.

---

[1]) الطاهر أحمد مكى "دكتور" ، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه ، دار المعارف ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٨٧م ، ص ٢٥٦.

[2]) سعيد علوش ، مدارس الادب المقارن ، المركز الثقافى العربى ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م ، ص٦١،٦٢ بتصرف.

[3]) الطاهر أحمد مكى "دكتور" ، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، ص ٢٥٦.

وبالنظر إلى حالة الأدب فى إيران يتضح أنه، منذ الفتح الأسلامى وتحديداً فى عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ = ٦٨٥– ٧٠٥م) تم تغيير الدواوين إلى اللغة العربية وحلت محل الپهلوية وأصبحت هى اللغة الرسمية ([1]) وأقبل الفرس على تعلمها واحتلوا فيها مراكز مهمة أهلتهم لتولى الكتابة للخلفاء أنفسهم أمثال ابن المقفع وغيره، وتمكنت العربية من إيران بشكل كبير حتى أصبحت لغة القوم بها يتكلمون ويكتبون([2]) ولما أخذ النفوذ السياسى العربى يضعف فى إيران سيطرت بعض الأسر الفارسية والتركية على بعض ولايات الخلافة العباسية فيما وراء النهر مع البقاء على تبعيتها للخلافة اسمياً ودفع الخراج أمثال السامانيين (٢٦١– ٣٨٩= ٨٧٤– ٩٩٩م) والغزنوبيين (٣٥١– ٥٧٩ هـ =٩٦٢–١١٨٣م) وكان هؤلاء لا يجيدون العربية مما دفعهم إلى استخدام اللهجات المحلية التى كان يتحدث بها الناس إلى جانب اللغة العربية وترجموا إليها بعض الكتب. ([3])وكان نتيجة لذلك أن اقصيت الفارسية الپهلوية وظهر إلى الوجود لغة جديدة من اللهجات المحلية المتبقية فى شرق إيران وخراسان بعد أن تأثرت باللغة العربية واختلطت بها وحملت

---

[1]) عبد الرفيع حقيقت ، دور الإيرانيين فى تاريخ الحضارة العالمية، ترجمة علاء عبد العزيز السباعى" دكتور" الطبعة الاولى القاهرة ٢٠١٢م ، ص٢٤٣ .

[2]) إبراهيم باستانى باريزى، يعقوب بن الليث الصفارى ، ترجمة محمد فتحى يوسف إدريس، دار الرائد العربى، بغداد ، ص ٨.

[3]) المرجع السابق ،ص١٠.

- محمد غنيمى هلال ، مختارات من الشعر الفارسى، ص٧.

الكثير من المفردات العربية والإسلامية وسميت تلك اللغة بالفارسية الدرية([1])

وفى عهد الخليفة القادر(٣٨١- ٤٢٢ هـ =٩٩١- ١٠٣١م) كانت بلاد فارس مقسمة بين السامانيين وعاصمتهم بخارى و تلاهم الغزنويون وعاصمتهم غزنه وبين آل بويه (٣٢٠- ٤٤٧هـ =٩٣٢- ١٠٥٥م) وقد حكموا فارس والرى وهمدان وأصفهان والعراق فأصبح لهم الحكم المطلق فى بغداد والسيطرة الفعلية على الخليفة .([2])

ومن الجدير بالذكر أن البويهيين كانوا من كبار رعاة العلوم والآداب و قد جمع بلاطهم بين شعراء الفارسية والعربية ، فنما وترعرع فى قصورهم الشعر الفارسى كما ازدهر لديهم أيضاً الشعر العربى بشكل ملحوظ ،غير أن ازدهار الأدب العربى فى عهدهم فاق الفارسى رغم كونهم فرساً ومن الشيعة بحيث أضحى من الأمثلة جرياً على الألسن قولهم " أبلغ من العبادين" ([3])أى من وزيرهم المعروف الصاحب بن عباد(ت٣٨٧هـ=٩٩٧م) الذى كان وزيراً على الرى وقد كانت كتاباته باللغة العربية حتى أن قصره كان مركزاً من مراكز الحضارة التى تجذب رجال العلم والأدب حتى بداية العصر الغزنوى([4])

---

[1]) مرتضى مطهرى ، الإسلام وايران محمد هادي اليوسفي الغروي ، جـ ١ الناشر: قسم العلاقات الدولية منظمة الاعلام الاسلامي (بدون) ص ١٠١

[2]) ادوارد جرانفيل براون ، تاريخ الأدب فى إيران ، ترجمة ، ابراهيم أمين الشواربى، جـ٢ ، ص١٠٥.

[3]) المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١٠٩.

[4]) المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١١٧.

وهناك من الكتاب من كان يكتب بالعربية والفارسية معاً أمثال البيرونى (ت ٤٤٠هـ =١٠٤٨م) وابن سينا (ت ٤٢٩هـ =١٠٣٧م)الذى ألف كتبه بالعربية ثم ترجمها إلى الفارسية بنفسه بناء على طلب من كان يعمل لديهم أو يراسلهم من أمراء عصره وأبى حامد الغزالى الطوسى الذى ترجم احياء علوم الدين من العربية إلى الفارسية بناء على طلب بعض من لا يعرفون العربية جيداً فترجمه وسماه " كيمياى سعادت" وغيرهم الكثير من الكتاب والشعراء أصحاب اللسانين([1])

واذا انتقلنا إلى الحالة الفكرية والأدبية فى بغداد موطن الشريف الرضى نجد أنها لا تختلف كثيراً عنها فى إيران نظراً للقرب الجغرافى واتفاق السياق الثقافى .

فقد بلغت الحضارة الفكرية فى بغداد أوجها فى أواخر القرن الرابع ومطلع القرن الخامس الهجريين وشهدت تلك الفترة نشاطاً واسعاً فى الشعر والنثر وغدت بغداد فى عهد البويهيين قبلة للشعراء والأدباء واشتد التنافس بين العاصمة بغداد وعواصم الدويلات المستقلة فى الثقافة والفكر، كما أشتد التنافس بين الحكام فى إكرام الأدباء واستقطابهم فتحولت حلب الحمدانية، ومصر الفاطمية، وبخارى السامانية ، وبغداد البويهية إلى مراكز للإشعاع الفكرى والحضارى، وإلى مكتبات عامرة بالمؤلفات فى شتى الفنون والعلوم والأداب وأدى الخلاف المذهبى والحزبى إلى انتشار التصوف والفلسفة وبلغ الأدب فى ذلك العصر درجة عالية من الرقى ،

[1]) إبراهيم باستانى باريزى، يعقوب بن الليث الصفارى ، ترجمة محمد فتحى يوسف إدريس،ص١٣.

وأنجب هذا العصر العديد من أعلام الشعر والأدب أمثال أبى فراس الحمدانى و الشريف الرضى وأبى العلاء المعرى وأبى حيان التوحيدى وبديع الزمان الهمذانى ومهيار الديلمى وأبى الطيب المتنبى ([1])

ونستطيع أن نرصد أن من مظاهر التأثير والتأثر فى ذلك العصر أيضاً كثرة تنقلات الشعراء بين البلدان العربية والفارسية دون حواجز أو صعوبات فنرى المتنبى يتنقل بين بلاد الشام ومصرويستقر به الحال فى مدينة شيراز ببلاد فارس ويتصل بابن العميد (ت ٣٦٠ هـ= ٩٦٨م) ويمدحه .([2])

أما بالنسبة للتأثير والتأثر بين كسائى مروزى والشريف الرضى ، فكما ذكرنا سابقاً، ليس بين أيدينا ما يدل على أتصال أحدهما بالأخر إلا أنه من خلال سيرة كل منهما يمكننا استنتاج الأتى:

أولاً: **بالنسبة لكسائى** فقد ذكرنا سابقاً أنه أتقن العلوم المتداولة فى زمانه ، وبالنظر إلى أن اللغة العربية كانت هى اللغة السائدة آنذاك فلابد أن يكون قد تعلم العربية أو اطلع عليها بطريقة أو أخرى فمن غير الطبيعى أن ينبغ شاعر ويذيع صيته كما حدث لكسائى دون أن يكون مطلعاً على اللغة السائدة فى عصره خاصة وقد كان مسلماً شيعياً واشتهر بمدائحه لآل البيت – كما اسلفنا الذكر– وأن المصادر لم تذكر لنا معرفته

[1]) الشريف الرضى ، ديوان الشريف الرضى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو جـ١، ص١٠

[2]) محمود شاكر ، المتنبى ، مكتبة الخانجى القاهرة ، ١٩٨٧م ص ٣٨١ وما بعدها.

بالعربية نظراً لعدم نظمه أشعاراً بها (غير أن هذا يظل مجرد استنتاج ورأى خاص والله أعلم بالصواب)

. ورد فى بعض المصادر أن كسائى قد مدح الخلفاء العباسيين غير أننا نرى أن هذا القول مجافياً للحقيقة فقد ورد فى ديوانه أشعار تفيد الذم والهجاء الصريح لهم وليس المدح إلا أن ذلك يدل على أنه قد عاصر الخلفاء العباسيين كما عاصرهم الرضى بل إنه قرض الشعر فيهم ومن ذلك قوله:

- ماذا فعل لنا المرتضى وآله من ظلم وجفاء ، وعلى أى عطية حصلنا من المعتصم أو المستعين

- فذاك وآله جميعاً قد قُتلوا وتسمموا وتألموا من جراح من الزمان، وهؤلاء المباركون المنصورون هم أمراء الفاسقين([1])

فنراه هنا يصف الخلفاء العباسيين بأمراء الفاسقين بدل من أمراء المؤمنين.

ثانياً: بالنسبة للشريف الرضى

فلم يكن الرضى أيضاً بمعزل عن الثقافة والأدب الفارسى فقد ذكرنا فيما مضى صلاته بالأمراء البويهيين وخاصة بهاء الدولة الذى مدحه

[1]) مرتضى وآل او با ما چه كردند از جفا
يا چه خلعت يافتيم از معتصم يا مستعين
كان همه مقتول ومسمومند ومجروح از جهان
وين همه ميمون ومنصورند امير الفاسقين
- مهدى درخشان"دكتر" ، اشعار حكيم كسائى مروزى،ص١٦.

الرضى فى العديد من قصائده ، وكذلك خطبته لإبنة أحد وزراء الفرس ، ومن دلائل صلاته بالفرس أيضاً إتصاله بالصاحب بن عباد ([1])

ومما يؤكد تلك الصلات أن أحد تلاميذ الرضى هو الشاعر الفارسى الأصل مهيار الديلمى الذى كان مجوسياً وقد قدم إلى بغداد فقيراً مهملاً، ثم التقى بالرضى فأسلم على يديه وتتلمذ عليه فى الشعر والبلاغة حتى احتل مكانته فى تاريخ الشعر والأدب.([2])

[1]) الشريف الرضى ، ديوان الشريف الرضى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو جـ١، ص٦٥.

[2]) أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، مقدمة ديوان مهيار الديلمى ، الجزء الأول، القاهرة ٢٠٠٨م ، ص ١٣.

المبحث الثانى

تجليات الشيب والكبر فى أشعار كسائى مروزى والشريف الرضى:

لقد دارت مضامين الأشعار التى تجلى فيها وصف الشاعرين لمرحلة الشيب والكبر حول مجموعة من المحاور هى::

١- بكاء الشباب وتمنى عودته
٢- الأثر النفسى للشيب
٣- عزوف المرأة
٤- ذم الشيب
٥- مقاومة الشيب بالخضاب
٦- الاستسلام للواقع.

أولاً: بكاء الشباب وتمنى عودته

يعترى الشاعرالإحساس بالمرارة والحسرة على أيام الشباب المنصرم فهو يرى فيه ذروة الحياة وقوة الجسد وحيويته، وبحلول الشيب ينمحى ما فى الحياة من متعة، ويشعر بالعجز والحزن لفراق الشباب الذى أسرع الخطى مؤذناً بالرحيل غير مكترث بجزع الشاعر من دنو النهاية، وعن ذلك يقول كسائى مروزى:

- ولى الشباب سريعاً دون أن يودعنى ، أعلم أننى هالك فقد أنبأنى بدنو النهاية.([1])

وقد إنقضى العهد الذى أبرمه الشاعر مع الشباب ونقض الشباب ميثاقه وانمحت كلماته وحروفه فلم يعد يرى الشاعر سواد خطه على الميثاق فيقول:

- انقضى طور الشباب وعهده ، وأبيض ميثاقه ولم يبق خطه الأسود ولا حرفه.([2]) .

أما الشريف الرضى فقد باغته الشيب مبكراً وهو لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره وإن كان الشيب فى مثل هذا العمر لا يخيف لكن الرضى تفجع من ظهوره ، فنراه يبكى الشباب ويلتاع فى بكائه، وأشعاره فى هذا الغرض غزيرة مقارنة بأشعار كسائى ، فيصور لنا جزعه حينما رأى طاقة من بياض فى رأسه وكان يظن ان سن العشرين سوف يكون مانعاً بينه وبين الشيب، كما يشبه الشباب بالزائر المتعجل الذى سرعان ما رحل عنه قائلاً :

عجلت يا شيب على مفرقى وأى عـــــذر لـــــك أن تعجـــــلا

---

[1]) جوانى رفت و پندارى نخواهد كرد بدرودم
بخواهم سوختن دانم كه هم اينجا بپرهودم
. كسائى مروزى ، ديوان اشعار، مركز تحقيقات رايانه اى قائمية اصفهان، چاپ ١٣٧٤، ص٣٤.

[2]) گذشت دور جوانى و ، عهد نامهٔ او
سپيد شد كه نه خطش سياه ماند ،و نه حرف
- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص٣١.

وكيف أقدمت على عارض ما استغرق الشعر ولا استكملا

كنت أرى العشرين لى جنة من طارق الشيب إذا اقبلا

يا زائراً ماجاء حتى مضى وعارضاً ما غام حتى انجلا

وما رأى الراؤن من قبلها زرعاً ذوى من قبل أن يبقلا.([1])

ثم يبكى على الشباب وينتحب حينما كان بمنى وقد حلق شعره فرأى فيه بياضاً، ويشبه الشباب بالميت الذى لا يرده بكاء أو تفجع قائلاً:

لا يبعدن الله برد شبيبة ألقيته بمنى ورحت سليبا

شعر صحبت به الشباب غرانقا والعيش مخضر الجناب رطيبا

إما بكيت على الشباب فانه قد كان عهدي بالشباب قريبا

لو كان يرجع ميت بتفجع وجوى شققت على الشباب جيوبا.

. وأحياناً قد يختلط لدى الشاعر موضوع الشيب بموضوع الشباب وهذا أمر وارد الحدوث لأن الحديث عن وطأة الشيب وما يتركه من جروح غائرة فى نفس الشاعر وحياته الراهنة لا ينفصل عن فكر الشاعر فيما أمضاه من فتوته فى شبابه([2]) فيترجم الشاعر مشاعره إزاء تلك القوة الجبارة ، قوة الزمن، فيلجأ إلى الدفاع بأن يتذكر الشباب وما كان فيه من متعة

[1]) الشريف الرضى، ديوانه، ج ٢، ص ٦٨٨.

[2]) باديس فوغالى ، الزمان والمكان فى الشعر الجاهلى ، عالم الكتب الأردن، ٢٠٨٨م ص١٤٧

وبهجة حتى يهرب من فعل الزمان القاسي ، ومن خلال تلك المتعة يتمكن من مقاومة مظاهر الضعف والهرم ([1])

ويأسف كسائى مروزى على رحيل شبابه وما كان يتمتع به من حسن وجمال وبهجة وعشق قائلاً:

ـ أسفاً لبهجة الشباب ، ويا أسفاً على العمر اللطيف!

ويا أسفاً للمحيا الفاتن، ووا أسفاً على الحسن والجمال!

ـ إلى أين ذهب كل ذلك الجمال، وإلى أين ذهب كل ذلك العشق؟

وأين انقضت تلك الفتوة ؟ وإلام صار كل هذا الآن؟[2]

أما الشريف الرضى فكثيراً ما يعبرعن إحساسه بسرعة انقضاء فترة شبابه والتوجع على رحيله والحنين لعودته، فيبكى عهد الشباب ويشبه الشباب بورق غصن أخضر نضير وتقلص سريعاً كظل الطائر ويتمنى لو يفتديه بسواد عينه بل بسواد ضمائره فيقول:

---

[1]) نفس المرجع والصفحة

[2]) دريغ فر جوانى ، دريغ عمر لطيف

دريغ صورت نيكو ، دريغ حسن و جمال!

كجا شد آن همه خوبى ، كجا شد آن همه عشق ؟

كجا شد آن همه نيرو ، كجا شد آن همه حال ؟

- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، مركز تحقيقات رايانه اى قائمية اصفهان، ص٣٢.

واهــاً علــى عهــد الشــباب والغــض مــن ورق الشــباب الناضــر

واهاً له ما كـان غـير دجنـة تلصــت صــبابتها كظــل الطــائر

لو يفتدى ذاك السواد فديتـه بســوادعينى بــل ســواد ضــمائرى

كان السواد سواد عين حبيبه فغدا البياض بياض طرف الناظر(١)

ويرى الرضي الشباب ليلا يجنه فيستر عليه ما قد يعاب به، فيقول:

رأيت شباب المرء ليلاً يجنـه يغطــى بــادى العيــوب ويســتر

وشيب الفتـى صبح يـبين ويرمــق فيــه بــالعيون فينظــر

فــإن ضــلالى فــى النهــار وإن ضــلالى فــى دجــى اليــل أعــذر(٢)

ثانياً: الأثر النفسى للشيب:

إن ظهور الشيب في الرأس وما يرافقه من علامات التقدم في السن ليس أمراً هيناً على نفس الشاعر، إذ نجده يجزع من الشيب وينفر من تقبله، ويعتريه بسببه الألم النفسي الكبير، ولقد عكست الأشعار التي نظمها شاعرانا في هذا الموضوع هذه المشاعر بصورة جلية، حيث وصفا دخولهما هذه المرحلة، وما أحدثته فيهما من ألم نفسي، وضعف جسدى، جعلهما يشكوان منه، ويتحسران على ما كان من ماضيهما.

ويتحدث كسائى مروزى عن وقع الشيب وأثره النفسي الكبيرعليه وكيف جرده من متع الحياة وطرب العيش، لذا أتى بألفاظ يكررها تنبئ عن

---

١) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص ٣٧٠.

٢) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص ٤٩٤.

فداحة هذه الملمة، فيصف بياض الشعر وإنحناء القوام وتقوسه وشحوب الوجه قائلاً:

- كسى الزمان روضة البنفسج بالثلج، وتقوس قوام الچنار وتبدل لون الأحمر بالأصفر.([1])

ثم يشبه قوامه بالسرو الباسق الذى أصبح منحنياً كقوس الحلاج يقول :

- كنت سرواً باسقاً فى الأعالى ، فصرت منحنى الظهر كقوس حلاج([2])

ويشير إلى تغيرلون شعر وجهه بعد ما كان أسوداً كالمسك والغالية إلى اللون الأبيض كالكافور والشمس فيقول:

- كانت لمتى وشعر وجهى سوداء كالمسك والغالية ، الأن اصبحت بيضاء كالكافور.([3])

ثم يعود ويتعجب من تتابع ظهور الشعر الأبيض فى رأسه بشكل سريع ، ويلقى باللوم على الزمان الجائر الذى سلبه الصبر والقوة فيقول:

---

[1]) بنفشه زار بپوشد روزگار به برف درونه گشت چنار و زریر شد شنگرف

وفى البيت عدة استعارات فقد استعار لفظ البتفسج الداكن ، للشعر الأسود، ولفظ الثلج للشعر الأبيض ولفظ الچنار للقوام واللون الاحمر والأصفر للوجه .

- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص ٣٠

[2]) سرو بوديم چندگاه بلند گوژ گشتيم و چون درونه شديم

- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص ٥١

[3]) غلاف و طرف رخم مشک بود و غاليه بود كنون شمامه كافور شد غلاف وطَرف

اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن.

- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص ٣١.

- يسقط الجليد من السحاب كل عام ، عجباً فبأى معنى يبزغ الجليد فى سحابى دائماً!(١)

- من هذا الزمان الجائر المتحول ليل نهار، اضحى عديم الصبر صبوراً والصبور لا صبر له.(٢)

ثم يعمد الشاعر إلى استخدام الإستفهام التقريرى للتعبير عن حيرته ومعاناته النفسية إزاء ما طرأ عليه من أثر الشيب كانقضاء العمر وبياض الشعر وضعف الجسد وشحوب الوجه وهو فى كل ذلك يستخدم نفس التشبيهات والصورالتى يستمدها من عناصر الطبيعة حوله فيقول:

- كيف ينسل العمر من يد البشر، وكيف يتسرب الهواء من الكوة؟

- صار السرو السامق حفرة وتخربت روضة الأزهار ، وجفت حديقة الشقائق وتحطم المرج.(٣)

– أما الشريف الرضى فيعبر عن التحول المريع الذى ينتاب حياته وانتقاله من زمن الشباب إلى زمن الشيب ، وأن نوائب الدهر ترميه

---

١) كه برف از ابر فرود آيد ، اي عجب ، هر سال
از ابر من به چه معنى همى بر آيد برف !
وهنا يستعيير لفظ الجليد للشعر الأبيض ، ولفظ السحاب للشعر الأسود.
- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص٣٠

٢) از اين زمانه جافى و گردش شب و روز
شگرف گشت صبور و صبور گشت شگرف
- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص٣١

٣) عمر چگونه جهد از دست خلق — باد چگونه جهد از بادخَن
- سروبنان كنده و گلشن خراب — لاله ستان خشک و شكسته چمن
- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص٥٢

بصعابها ، ويتساءل عن لمتة وسواد عارضه ما الذى أصابه بالشيب مبكراً، وأن الأيام تسقيه كأساً مريرة لا يمكنه ردها فيقول:

ترى نوب الأيام ترجى صعابها وتسئل عن ذي لمة ما أشابها

وهل سبب للشيب من بعد هذه فذأبك يا لون الشباب وذابها

شربنا من الأيام كأساً مريرة تدار بأيد لا نرد شرابها(١)

وتحتدم وتيرة الصراع النفسي لدى الشاعر فيشكو من حكم الزمان الجائر ويدعو نفسه للصبر عليه، و يتذكر أيامه الخوالي، في أثناء حواره مع الجميلات الأوانس الحسان بينما لم يكن له منافس أو عاذل والأن لم يعد يجد من يلتمس له عذراً فيقول:

أبياض رأس واسوداد صبراً على حكم الزمان الجائر

ان أصفحت عنه الخدود عطفت له بلواحظ ونواظر

ولقد يكون وما له من عاذل فاليوم عاد وما له من عاذر.(٢)

ثم يعود ويتحدث عن ظلم الزمان وتبرز المفارقة النفسية لدى الشاعر وتضطرب ذائقته فى التعاطى مع الألوان ورمزيتها ، فيفضل اللون الأسود رمز الشباب والصبا ويتفاءل به أياً كان مصدره وإن كان يشبه الغراب ، ويبغض اللون الأبيض رمز الصفاء والتفاؤل لكونه لون الشيب ، اذا بغربان الليالي التي تنعق نعيقا لا يتوقف تطير غراب رأسه، فيذكر أن

---

١) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص٥٥.

٢) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص ٣٧٠.

الزمان الجائر نزع عنه السواد دون مراده ، وفرض عليه البياض بلا طلب أو رغبة منه **فيقول**:

ولم يلبثن غربان الليالى نعيقاً أن أطرن غراب راسى

وما زال الزمان يحيف حتى نزعت له على مضض لباسى

نضى عنى السواد بلا مرادى وأعطانى البياض بلا التماسى

أروع به الظباء وقد أرانى زميلاً للغزال إلى الكناس.([1])

ـ ويتجلى الأثر النفسى للشيب عند كسائى فى التحول الفكرى لدى الشاعر ونظرته للحياة من حوله فتتغير نظرته للطبيعة والمخلوقات ويتمثل ذلك فى التقرب الى الله تعالى وعزوفه عن مدح الحكام والساسة والتفكر فيما مضى من حياته ومحاسبة نفسه ولومها على ما كان من تقصير، ودعوتها الى الزهد والتوبة والإنابة ، فيقول:

- يا من حرفتك تقديس" مدح" البشر، لماذا تعبد مخلوقاً مثلك.([2])

ويندم على ما مضى من عمره وما أهدره من روحه فى مدح البشر، ويقر بأنه أهل للوم لانشغاله بمدح البشر فيقول:

---

[1]) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص ٤٢٩.

[2]) اى انكه تو را پيشه پرستيدن مخلوق چون خويشتنى را چه برى بيش پرسته؟!
- جعفر شعار" دكتر" گزينه اشعار كسائى مروزى، ص٥٦.

- تشوهت روحى فى مدح الخلائق ، فأنا جدير باللوم والمذمة لأنى لم أمدح سوى الخلق.(١)

ولعل أبرز ما يوضح توجه كسائى إلى الزهد وخوفه من المصير وندمه على ماضٍ رحل ما له من رجعة قصيدته اللامية التى نظمها وهو فى الخمسين من عمره ومطلعها:

- فى ثلثمائة وإحدى وأربعين من دورة الزمان، يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال .

- اتيت إلى هذا العالم لأقول وأعمل ، وأتغني بحديثى وأبتهج بالنعمة والمال.(٢)

- أمضيت عمرى كله مطية ذلولاً، إذ صرت أسير أولادى وعيالى.

- أسير سلطان الشره ، رهين طغيان الحرص ، هدفاً للحادثات فريسة لذل السؤال.(٣)

والقصيدة تضم فى طياتها رحلة تأملية فى عمره وما مر من حياته تخفى قلقاً من الموت ، وتشبثاً بالحياة ، كما يتضح من خلال النص ندمه على ما مضى وتعكس تجربة ذاتية للشاعر ، ويتبين من خلال القصيدة

---

١) به مدحت كردن مخلوق روح خويش بشخودم
نكوهش را سزاوارم كه جز مخلوق نستودم
كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص٣٤

٢) به سيصد وچهل ويک رسيد نوبت سال — چهار شنبه وسه روز باقى از شوال
بيامد به جهان تا چه گويم وچه كنم — سرود گويم وشادى كنم به نعمت ومال.

٣) ستوروار بدين سان گذاشتم همه عمر — كه بَرده گشتهٔ فرزندم و اسير عيال
درم خريدهٔ آزم ، ستم رسيدهٔ حرص — نشانهٔ حَدَثانم ، شكار ذلّ سؤال
كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص٣٢

ميله للزهد واستشعاره حقارة الدنيا وهوانها كما بث من خلالها معانى التوبة وتأنيب الذات والندم على التفريط فى جنب الله ، فقد كان كسائى فى حياته مستغرقاً فى الملذات واغتنام فرص الحياة والمتعة بينما اتجه إلى الزهد والتوبة فى شيخوخته.

وفى نهايتها يتوجه بالخطاب إلى نفسه يدعوها إلى التحرر من كل آمال الدنيا واليقظة من الغفلة فيقول:

- إذا فقدت ميلك إلى المال والأمل أكثر من هذا ، فحرر نفسك من الأمل وتنبه من غفلتك(١).

بينما يظهر الأثر النفسى بوضوح على الشريف الرضى من خلال معاناته وشكواه من الزمان ومرور السنين ، فرغم قصر سنوات عمره بيد أننا نجده يطالعنا برصد تلك السنوات عبر اهتمامه بتأريخ سنه فى أكثر من قصيدة ، مما يؤكد احساسه بالزمن وأنه يمثل إشكالية بالنسبة له، فهو يرى في الزمان خصما لدودا لأنه يتعامل مع الزمن كمن يراقب سرعة انقضاء الأوقات الهنيئة، فلا يتبقى إلا الحرمان وكبر النفس وتمر السنوات مسرعة فقد كان الشباب بالنسبة له ومضة وليس مرحلة كبيرة من العمر، وما بين العشرين والثلاثين من العمر يتأمل نفسه وما طرأ عليها فيتحدث عن العشرين وكان يظن أنه ما زال بمنأى عن الشيب فيقول:

فليت عشرين بت أحسبها باعدن بين الورود والقرب(٢)

---

١) تو گر به مال و اَمَل بيش از اين نداري ميل
جدا شو از امل و گوش وقت خويش بمال
- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص٣٢

٢) القرب: سير الليل لورود الغد

انى اظمى إلى المشيب ومن ينج قليلاً من الردى يشب. (١)

ثم تأتى السابعة والعشرون لتنال من صلابته أمام قسوة الزمان فيقول:

سبع وعشرون اهتصرن وألن عودى للزمان الكاسر

كان المشيب وراء ظل قالص لأخ الصبا وأمام عمر قاصر.(٢)

فتحل محطة الثلاثين من العمر والشاعر قد تلفع رأسه بالشيب فيتعجب من ذلك ويتذكر الشعر الأسود الذى كان يزين وجهه قائلاً:

بعد الثلاثين انقراض شبيبة عجبا أميم لقد رأيت عجيبا

قد كان قططاً يزين لمتى شروى السنان يزين الانبوبا.(٣)

ثم يؤرخ للثلاثين مرة أخرى وهو يرثي شبابه مشيرا إلى حيف الزمان و يتساءل من الذى دل المشيب إلى عذاره قائلاً:

أليس إلى الثلاثين انتسابي ولم أبلغ إلى القلل الرواسي

فمن دل المشيب على عذارى وما جر الذبول على غراسي.(٤)

وحينما يصل إلى السابعة والثلاثين يقرن التأريخ لسنه بهموم نفسه وأن تلك السنون قد جعلت بينه وبين الصبا منعطفاً لا رجعة منه فيقول:

---

١)الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص ١٢٤.

٢) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص ٣٧٠..

٣) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص١٤٥.

٤) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص ٤٢٩.

ولا تـــزال همـــوم الـــنفس رســل البيـــاض إلى الفـــودين تختلـــف

ان الثلاثين والسبع التـوين عـــن الصـــبا فهـــو مـــزور ومنعطـــف(١)

وبينما يؤرخ للأربعين يطلب من حادى السنين أن يقف بالركب فقد بلغ طريق الأربعين وأن الرأس قد غدت من الشيب وكأنها جبين **فيقول**:

فيـــا حـــادي الســـنين قـــف فهـــــن علـــــى طريـــــق الأربعينـــــا

وان الـرأس بعـدك صـوّحته بـــــوارح شـــــيبه فغـــــدا جبينـــــا(٢)

وإذا نظرنا إلى ديوان الكسائى نجده لا يخلو أيضاً من التأريخ لسنوات عمره غير أنه أوقف التأريخ على الخمسين وجعلها نذير الخطر ،ويقرنها أيضاً بالندم على كل ما اقترف فى حياته والخوف من عاقبة أمره فيقول:

---

١) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص٥١٤.

٢) الشريف الرضى، ديوانه، ج ٢، ص ٩٥٠.

- فماذا أملك الآن من السنوات الخمسين التى عددها، إلا سجلاً حافلاً بمئات الآلاف من أنواع الوبال

- وكيف أستطيع أن أوفى هذا الحساب فى عاقبة أمرى ،وقد بدأ بالكذب وأنتهى بالخجل والعار.

- فيا كسائى .... أن السنوات الخمسين تجثم على صدرك بمخالبها، وأصابت جناحيك بقبضتها ومخالبها.([1])

ثالثاً :عزوف المرأة :

إن أعظم ما يحزن الشاعر من تبعات الشيب هو عزوف المرأة عنه وصدودها من بعد إقبال وما يلقاه منها من هزء وسخرية مما يجعله يقف موقف المدافع عن شيبه رغم يقينه بأن ذاك الشيب هو ما فرق بينه وبين أحبته ، لكنه يبدو كمن يثأر لكبريائه أمام عزوف المرأة وصدها له ، فهذا شاعرنا كسائى مروزى يعلن أنه يجدر به أن يقطع الرجاء ويفقد الأمل من الحبيب متلألئ الثغر كحال من هم مثله من الشيوخ المسنين، رغم أن الدمع يقطر من عينيه ليل نهار بسبب بزوغ نجم الشيب فى جدائله وترك المحبوبة له ، فيقول:

---

[1]) به كف چه دارم از اين پنجَهٔ شمرده تمام
من اين شمار بآخر چگونهٔ فصل كنم
ايا كسايى ، پنجاه بر تو پَنجه گذارد
شمارنامهٔ با صدهزار گونهٔ وبال
كه ابتداش دروغست و انتهاش خجال
بكند بال تو را زخم پنجه و چنگال

- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص٣٢ ،٣٣.

- يليق أن أفقد الأمل من الحبيب متلألئ الثغر، كما يفقد الأمل المسن متساقط الأسنان .

- يليق أن تمطر الثريا " قطرات الدمع" من عينى ليل نهار، فالأن قد بزغ شعاع الثريا "البياض" من ليل جديلتى السوداوتين.(١)

ثم يقرر عدم البوح بأنينه لتلك المحبوبة ولو كان حزنه ونواحه كرعد يتفجر بداخله قائلاً:

- لن أبوح بأنينى أمام ذلك المعشوق الغريب، ولو أنفجر نواحى كالرعد ليل نهار فلن يرى منى إلا طربا.(٢)

وهذا هو الشريف الرضى يتحدث حول نفس المضمون فيذكر أن الغوانى قد عزفن عنه عند الشيب محاولاً استجماع قواه أمامهن، وذلك بأن يذكر أنه كان عفيفاً عن الحسان وأن الشيب لم يروعه كما لم يجرفه نزق الشباب إليهن فيقول:

فقبل الشيب أسلفت الغوانى قلى وأمالنى عنها اجتنابا

عففت عن الحسان فلم يرعنى المشيب ولم ينزقنى الشباب.(٣)

---

١) فى البيت استعارة صريحة للجدائل باليل ، واستعمال لفظ الثريا مرة للدمع وأخرى للشيب وكلاهما كناية عن البياض

- سزد كه بگسلم از يار سيم دندان طمع سزد كه او نكند طمع پيردندان كَرو
- سزد كه پروين بارد دو چشم من شب و روز كنون كزين دو شب من شعاع برزد پَرو

٢) غريب نايدَش از من غريو گر شب و روز به ناله رعد غريوانم و به صورت غَرو.

- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص٥٤.

٣) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص١٠٠.

غير أنه سرعان ما يعدل عن هذا القول ويستعطفها بأن لا تأخذه بالشيب لأنه من فعل الأيام وليس له يد فى حلوله برأسه، بل يقر بأنه لو يستطيع التخلص منه لن يتردد فيقول:

لا تأخذينى بالمشيب فانه تفويف ذى الأيام لا تفويفى

لو استطيع نضوت عنى برده ورميت شمس نهاره بكسوف.([1])

وتختلف نظرة المرأة للرجل بعد شيبه، فتصبح بعد أن كانت مقبلة عليه شابا نافرة عنه، مبغضة له إذا ما بدا الشيب يغزو رأسه، وموقفها هذا غير خاف على الرجال، فهم يدركون موقف المرأة جيداً ويشكون من تغير معاملتهن .

فهذا كسائى يحدثنا عن عبوس محبوبة عندما رأت رأسه البيضاء ويستنكر ذلك التشبيه التى شبهت به وجهه ورأسه قائلاً:

- عندما رأت محبوبتى رأسى البيضاء ، قالت تشبيهاً عجيباً جداً للشيب

- عجباً شعر أبيض ووجه أسود ، كأنما الليل فى حضن النهار!([2])

وتبدو ردة فعل المرأة تجاه شيب الرجل واضحة من مجرد رؤيتها له بعد أن تبدو عليه علامات الكبر، فهي بمجرد أن ترى الشيب قد بدا بالظهور ترتاع، وتنفر منه، ولا يعجبها ذلك فتجهر له بموقفها، معلنة عنه دون

---

[1]) الشريف الرضى، ديوانه، ج ٢، ص٥٢٠.

[2]) چون سر من سپيد ديد بتم گفت تشبيه شيب و سخت عجب
گفت : موي سپيد و روي سياه همچو روز است در ميان شب!
- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص١٩

حرج، أو مراعاة لنفسيته، ويشير الشريف الرضى إلى موقف المرأة منه بعدما أضاء الشيب مفرقه فجعلها تنتهي عنه وكأن الشيب عنده بدعة ابتدعها، الأمر الذي جعله يتحسر على الشباب وأيّام وصله للغواني واستمتاعه بهن قائلاً :

تشاهقن لما أن رأين بمفرقي ... بياضاً كأن الشيب عندي من البدع

وقلن عهدنا فوق عاتق ذا ... رداء من الحوك الرقيق فما صنع

وقالوا غلام زين الشيب رأسه ... فبعداً لرأس زانه الشيب والنزع

تسلى الغواني عنه من بعد ... وما أبعد النبت الهشيم من

والشيب في نظر الغواني ذنب ليس يغتفر وما له من شفيع ويحاول الشاعر دفع هذا الذنب عنه فيقول الشريف الرضى:

من شافعي وذنوبي عندها ... إن المشيب لذنب ليس يغتفر

رأت بياضك مسوداً مطالعه ... ما فيه للحب لا عين ولا أثر

وما عليك ونفسي فيك واحدة ... إذا تلون في ألوانه الشعر.(٢)

---

[١]) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص٥٠٠.

[٢]) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص ٤٠٤.

رابعاً : ذم الشيب:

حينما يحل الشيب يبدى الشاعر فزعه منه وبغضه لمقدمه وهو ضيف غير مرحبِ به ولا مرغوب فيه، والأسباب التى تدفع الشعراء إلى ذم الشيب تختلف باختلاف شخصيات الشعراء ونفسياتهم بالإضافه إلى ما تتركه تبعات الشيب عليهم([1]) وبتفحص أشعار كسائى مروزى والشريف الرضى تبين أن أسباب ذم الشيب لديهما تتباين وتختلف بشكل ملحوظ ، وذلك تبعاً لاختلاف حالتهما النفسية والجسدية ومدى تقبلهما للشيب من عدمه، فكسائى جاء ذمه للشيب نتيجة للتغيرات الجسدية التى ألمت به وما يعانيه من ضعف عام في بنيته الجسدية، ووهن فتك بصحته وتراجع قوته ونشاطه، وعجزه عن القيام بما كان يقوم به وقت شبابه .

بينما جاء ذم الشريف الرضى للشيب وبياض شعر رأسه ولمته بسبب منظره الذى يقذى العين وتعافه النفس وتعرض عنه ،ولم نر بين أشعاره ما يشير إلى ذم الشيب بسبب ضعف القوى الجسدية أو الأمراض والوهن.

فهذا كسائى يتحدث عن معاناته مع الشيب من علل وأمراض لا يتحرج أن يرفع بها عقيرته فيرسم لنا صورته وهو مصاب بالوهن وشحوب الوجه وقد لازمه الألم والسعال طوال الليل فيقول:

---

[1]) أبى زيد محمد بن الخطاب القرشى ، جمهرة أشعارالعرب ، تحقيق محمد على البجاوى، دار نهضة مصر القاهرة (بدون) ص٤٢١

- عجباً جلعنى الشيب شاحب الوجه ، وصار الألم والسعال رفيقا ليلاً.([1])

وتتكرر الصورة التي يرسم فيها الشاعر انحناء قامته، وتطامن هامته ، فيشبه قوامه بالسهم الذى تقوس بفعل الزمان والشيب قائلاً:

-كنت كالسهم المنطلق من القوس ، فصرت منحنياً كالقوس.([2])

وعن الآم الشيب والكبر يتحدث فى قطعة بعنوان "درد پيرى" ألم الشيب قائلاً:

- لا يدرك الرجل قيمة العمر حتى يشيب، ولا يعلم الطائر أهمية الجناح حتى يهلك "يضعف"

- لم يعد فى العمر سوى القليل ، ولم يتبق فى جعبتى سوى الدرن.

- كسائى أيها الضال التائه الحائر ، أتأمل بالمكر والحيلة ؟ جدير أنت باللوم.([3])

والشريف الرضى يرى الشيب ضيفاً بغيضاً لا مهرب منه ولذلك فهو غير مرغوب فيه وقد حل لا مرحباً به فيقول:

---

[1]) پيري مرا به زرگري افگند ، اي شگفت بی گاه دود ، زردم و همواره سُرف سُرف
- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص٣١

[2]) تير بوديم در كمان يک چند كوژ گشتيم وچون درونه شديم
- مهدى درخشان"دكتر" ، اشعار حكيم كسائى مروزى،ص٥٢

[3]) تا پير نشد مرد نداند خطر عمر تا مانده نشد مرغ نداند خطر بال
از عمر نمانده ست بر من مگر آمُرغ در كيسه نمانده ست بر من مگر آخال
اي گمشده و خيره و سرگشته كسايى گواژه زده بر تو امن ريمن و محتال
- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص ٣٣.

ضوء تشعشع فى سواد ذوائبى لا أستضيئ بـه ولا أستصبح

بعت الشباب به على مقةٍ له بيع العليم بأنه لا يربح(١)

والشيب كالرياح السموم التى تقصف الغصون الرطبة النضرة وهو مقذ للعيون فيقول:

كذاك الرياح إذا استلأمت تقصف أعلى الغصون الرطاب

مشيب كما استل صدر لم يرو من لبثه فى القراب

وألوى بجدة أيامه فأصبح مقذى لعين الكعاب(٢)

والرضى يعتبر الشيب مصيبة عظيمة قد ألمت به نتيجة لغدر الزمان فيقول:

أغدراً يا زمان ويا شباب أصاب بذا لقد عظم المصاب(٣)

ويستخدم الرضى الإستعارة حيث شبه بياض الشيب مبدداً سواد مفرقه بضوء القمر الذى يبدد ظلام الكون وبالصباح الذى يبدد ظلام الليل، غير أن بياض الشيب مكروه فهو يبدد النضارة وما كان أغناه عن ضوء هذا القمر كما أن صباحه لهو أمر صباح يشرق على المرء فيقول:

ما كان أغنى ليل ذا المفرق عن ضوء القمر

قد كان صبح ليله أمر صبح ينتظر

---

[١]) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص٢٠٠.

[٢]) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص٩٧.

[٣]) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص١٠٠..

واهاً وهل يغني الفتى بكاء عين لأثر(١).

ولا شك أن الأعداء يسرون لرؤية شيبه وبخاصة إذا كان بطلا مقداماً أو فارساً مغواراً أو شخصية لها حضورها والرضى يفضل لقاء العدو على لقاء الشيب فيقول:

ما لقائي من عدوي كلقائي من مشيب

موقد نارا أضاءت فوق فودي عيوبي

وبياض هو عند أل بيض من شر ذنوبي(٢)

وقد سلم زمامه لعذاله ليذهبوا به حيث شاءوا فيكفيه الشيب من عاذل فيقول:

ياعذولىّ قد غضت فاذهبا حيث شئتما بزمامى

بعد لوثى عمامة الشيب ببرىْ بطالة وعرام(٣)

ويقول:

قل لعذولى اليوم نم فقد كفانى الشيب أن أعذلا(٤)

ورغم ذم الرضى للشيب إلا أنه لا يرى فيه نهاية الأمانى وانقطاع الرجاء والأمل، فرغم الشيب لا يزال فى قلبه شئ من الهوى ومن لوعة

---

١) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص٣١٧.

٢) الشريف الرضى، ديوانه، ج ١، ص٣٧٣.

٣) الشريف الرضى، ديوانه، ج ٢، ص٧٧٠.

٤) الشريف الرضى، ديوانه، ج٢، ص٦٨٨.

الحب، ويذكر أنه لم يشب من طول السنين وانما كان شيبه بفعل غبار الحروب الذى غطى سواد رأسه فيقول:

أراعي بلوغ الشيب	وأفني الليالي والليالي فنائيا
وَمَا أدّعي أنّي بَرِيءٌ مِنَ	ولكنني لا يعلم القوم ما بيا
تَلَوّنَ رَأسِي، وَالرّجَاءُ	وَفي كُلّ حَالٍ لا تَغُبّ الأمَانِيَا
أعفّ وفي قلبي من	وليس عفيفاً تارك الحب ساليا
وَما شِبتُ من طُولِ	غبار حروب الدهر غطّى

والشاعر يذم الشيب لأنه ظاهرة تنبئ عن دنو الأجل واقتراب الموت الأمر الذي يزيد من إحساسه بالألم والشكوى المريرة؛ ذلك لأنه يشعر بأنه على موعد مع الموت في أي لحظة، فهذا كسائى يصرح بأنه يرتعد خوفاً من الموت ليل نهار كأطفالٍ أغبياء يخشون مقرعة المعلم وذلك بعد أن شاب وأضحى رأسه فى بياض اللبن وقلبه فى سواد القار فيقول:

- أضحى رأسى فى لون اللبن وقلبى فى لون القار ، ووجهى فى شكل النيلنج وجسدى هزيلاً فى صورة اليراع

- أرتعد رهبة من الموت طوال الليل والنهار، كأطفال أغبياء يخافون مقرعة المعلم.(٢)

---

[١]) الشريف الرضى، ديوانه، ج٢، ص٩٨٢.

[٢]) سرم بگونهٔ شيرست ودل بگونه قير رخم به گونهٔ نيل است و تن به گونه نال
نهيب مرگ بلرزاندم همى شب و روز چو كودكان بدآموز را نهيب دوال.

- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص٣٣

ويشبه الشباب والشيب بسفينتين إحدهما للبداية والأخرى للنهاية فيقول:

- جاءت سفينتا الشيب والشباب ، إحداهما نهاية والأخرى بداية.(١)

ويعبر الشريف الرضى عن هذا المعنى فتتردد فى أشعاره ألفاظ " المنية والردى وانقضاء العمر " مقرونة بالشيب والنماذج على ذلك فى شعر الرضى كثيرة فيقول:

أرنو إلى يقق المشيب إلا قواضب للرقاب تسلل

واللمة البيضاء أهون فى الدهر لو أن الردى لا يعجل.(٢)

ويقول:

وأرى المنايا إن رأت بك جعلتك مرمى نبلها المتواتر

تعشو إلى ضوء المشيب وتضل فى ليل الشباب الغابر(٣)

عمر الفتى شبابه وإنما آونة الشيب انقضاء العمر.(٤)

---

١) كه كشتى بيامد پير ونو ساز دگر كرده نها وديگر آغاز.

- مهدى درخشان"دكتر" ، اشعار حكيم كسائى مروزى،ص٦١

٢) الشريف الرضى، ديوانه، ج٢، ص٦٣٢..

٣) الشريف الرضى، ديوانه، ج١، ص ٣٧٠ ..

٤) الشريف الرضى، ديوانه، ج١، ص٣٦٧.

ويقول:

ما نازل الشيب فى رأسى عنى وأعلم أنى عنه مرتحل. (١)

خامساً: مقاومة الشيب بالخضاب:

ومن آثار الشيب السلبية أيضاً أنه يضطر الشاعر إلى اللجوء إلى الخضاب كحيلة لمقاومة الشيب وإخفائه و التمرد على الزمان ، لكن أنى له أن يحتال على مر الزمان، وأثر كرِ الأعوام التي أخذت الشباب وسواده، وأتت بالشيب وبياضه، فنرى شاعرنا كسائى يخاطب محبوبته طالباً منها ألا تحزن من خضاب شعره وصبغه فإنه لا يبغى من ذلك التصابى والعود للشباب وإنما هو نوع من التحايل الظاهرى ومخالسة الزمن عدة أعوام خشية من أن يتعامل الناس معه كشيخ مسن باحثين عنده عن حكمة الشيوخ فلا يجدوا صداً لها عنده فيقول:

- إن كان يروعك خضاب شعرى وصبغة ، فلا تحزنى ولا تتألمى!

- فلست أبغى من ذلك التصابى واستدعاء الشباب، لكنى أخشى أن يبحثوا لدى عن حكمة الشيوخ ولا يجدو لها أثراً!(٢)

---

١) الشريف الرضى، ديوانه، ج٢، ص٦٥١..

٢) از خضاب من و موي سيه كردن من
گر همى رنج خوري ، بيش مخور ، رنج مبر!
غرضم زو نه جوانى است، بترسم كه ز من
خرد پيران جويند و نيابند مگر!

- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص ٢٧.

وتارة أخرى يصف كسائى الخضاب على أنه حداد على الشباب الذى ولى فيدعى أنه لا يخضب شعره بالسواد رغبة منه فى عودة الشباب وجموحه لكنه يتخضب بالسواد حداداً على الشباب قائلاً:

- لا أخضب شعرى بالسواد، طلباً للشباب وجموحه.

- لكن كما يتخذ الناس السواد حداداً على الموتى، فخضابى حداداً على ذهاب الشباب.(١)

أما الشريف الرضى فيعترف بأن خضابه بغرض التصابى فيوجه الخطاب لنفسه لائماً لها على التردد فى اتخاذ الخضاب والتصابى وأن الخضاب غطاء لقبائح العيوب التى يبديها الشيب فيقول:

إلى كم ذا التردد فى التصابى وفجر الشيب عندى قد أضاء

فيا مبدى العيوب سقى سواداً يكون على مقابحها غطاء. (٢)

ويدعو إلى عدم الملل من التصابى والخضاب لأن سواد الرأس دليل على الصبا فى أعين الحسناوات و أن بين بياض الشعر والنساء الحسناوات حروب مستعرة فيقول:

تمل من التصابى حين تمسى و لا أمم صباك ولاقريب

سواد الرأس سلم للتصابى وبين البيض والبيض

---

١) من موى را نه از پى آن مى كنم خضاب تا باز نوجوان شوم و نو كنم گناه
مردم چو مو به ماتم پيرى سيه كنند من موى را به مرگ جوان كنم سياه.
- مهدى درخشان"دكتر"، اشعار حكيم كسائى مروزى،ص٤٠

٢) الشريف الرضى، ديوانه، ج١، ص١٣..

٣) الشريف الرضى، ديوانه، ج١، ص١٤٦

وهو يقر بأن الشيب لا يجتمع واللهو والتصابي، فهذه أحوال مضت مع وقت الصبا وأن الحب والهوى ملازمان للشباب وأن بياض الشعر وشيبه مدعات لنفور النساء فيقول:

دوام الهوى فى ضمان الشباب وما الحب إلا زمان التصابى

أحين فشا الشيب فى شعره وكتم أوضاحه بالخضاب

تروعين اوقاته بالصدود وترمين أيامه بالسباب .(١)

سادساً: الاستسلام للواقع:

ولما كان الشيب والكبر مصير كل إنسان ، ودوام الشباب غاية لا تدرك وأن الزمان تاركاً آثاره عليه لا محالة فليس أمام الشاعر سوى الاستسلام للأمر الواقع والإقرار بأن ما يصيبه من ضعف ووهن بفعل الشيب إن هو إلا سنة الحياة ، فهذا كسائى يذعن لتصاريف الزمان وحكم القدر فنراه يستنكر فكرة ترك الخمر عند الشيب مقراً بأن الشيب والموت متلازمان فيقول:

- كأنى وأنا أترك الخمر وقت الشيب، كمن ينبغى علية أن يأخذ صك أمان من الموت.(٢).

---

١) الشريف الرضى، ديوانه، ج١، ص٩٦.

٢) گويى كه " به پيرانه سر از مى بكشم دست "
آن بايد كز مرگ نشان يابى ودسته.
- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص ٤٠.

ويمعن فى فكرة الإستسلام لنوائب الدهر فيذكر أنه قد سحق تحت وطأة طاحونة الزمان وسوف يظل يسحق حتى النهاية فيقول:

- **لقد سحقت تحت وطأة طاحونة الزمان ، وسوف أفنى حتى النهاية .**([1])

والسأم من الحياة يرتبط بالشيب إرتباطاً جذرياً فهو نتيجة حتمية لما ينتاب الجسم من ضعف القوة وتيبس الأطراف وتقوس الظهر، فيصبح المرء عاجزاً عن فعل ما كان يفعله فى صباه فيلجأ إلى ترك العمل والإنعزال عن الدنيا ويعبر كسائى عن ذلك قائلاً:

- **تيبست اليد وقبضت وجفت القدم وتشققت، وتقوس الظهر كراهب منحني يتعبد**

- **فضع حمل الولاية عن كاهل ثورك ، ولاتطلب منه الإستمرارفى هذا العمل.**([2])

ويسلم بأن أيامه فى الحياة قد انقضت، ويرجع كل ما حدث له فيها إلى القدر، وأن أمره قد انتهى وصارت كلماته حكايات تروى لتسلية الأطفال فيقول:

- **قضينا الأيام ومضينا عن الحياة، ووقع كل ما كان مقدر لنا، وصرنا وصارت كلماتنا أقاصيص يتسلى بها الأطفال.**([3])

---

[1]) آس شدم زير آسياي زمانه نيسته خواهم شدن همى به كرانه.
- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص ٤١.

[2]) بسته كف دست و كف پاي شوغ پشت فرو خفته چو پشت شمن.
بار ولايت بنه از گاو خويش بيش بدين شغل مياز و مدن.
- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص ٥٢.

[3]) گذاشتيم و گذشتيم و بودنى همه بود شديم و شد سخن ما فسانه اطفال.
- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص ٣٣.

على أن شبح الموت دائماً ما يتراءى للشاعر فهو يوقن بأن الموت آت لا محالة و لذلك يرثى نفسه ظناً منه أن أحداً لن يرثيه بعد مماته فيقول:

- أعلم أن أحداً لن يرثني ، وأوقن أن الموت ميراث على القلب.

- فحينما تفتح الشيخوخة أحضانها، أشغل الرأس بحصاد أعمالك.(١)

اما الشريف الرضى فبعد وصف هموم الشيب هذا المتحدي الجديد المبكر والغائر على شبابه يتولد فى ذاته ما يشبه الصراع الداخلي بين الشباب التجربة المشحونة بالمعنى والشيب الخبرة والوقائع التاريخية في حياة الإنسان لينتهي ذلك الصراع إلى الاعتراف بالواقع حين يلوذ الشاعر بالشيب درعا يقيه نوائب الدهر،فقد طابت نفسه لأنه قدره فهو كالموت وهوالنهاية الحتمية التى لا مفر منها: فيقول:

طبت به نفساً ومن لم يجد إلا الردى أذعن واستقبلا

لم يلق من دونى له مصرفاً ولم أجد من دونه موئلا .(٢)

ويذّكر الشاعر نفسه بضرورة مسالمة الزمان حيث لا يجني من محاربة الزمان شيئا ،لأنه في تلك الحرب يبقى قليل الناصر، فيقول :

سالم تصاريف الزمان فمن يرم حرب الزمان يعد قليل الناصر.(٣)

---

١) دانم كه هيچ كس نكند مرثيت مرا دانم كه مرده بر دل ميراث خوار ، خوار
پيري آغوش بازكرده فراخ تو همى گوش با شكافهٔ غوش

- كسائى مروزى ، ديوان اشعار، ص ٢٨.

٢) الشريف الرضى، ديوانه، ج١، ص٦٨٩.

٣) الشريف الرضى، ديوانه، ج١، ص٣٧٠.

وتفرد الرضى فى أشعاره عن الشيب بخاصية لم ترد فى أشعار كسائى وهى مدح الشيب ويصفه بالضياء والجمال ويجعل منه السيادة والجلال، بينما يذم الشباب ويصفه بالضلال والصدئ **فيقول**:

مسيري إلى ليل الشباب وشيبي ضياء في الورى وجمال

سواد ولكن البياض سيادة وليل ولكن النهار جلال

وما المرء قبل الشيب إلا مهند صدي وشيب العارضين صقال.(١)

ويسهب فى ذم الشباب ووصفه بالجنون ومدح الشيب ونعته بالوقار قائلاً:

جنون شبيبة ووقار شيب خذا عنى النهى ودعا الجنون.(٢)

ويصف الشيب بأنه أفضل ما يتوج رأس الفتى ويكلل هامته فيقول:

لون الشبيبة أنصل الألوان والشيب جل عمائم الفتيان.(٣)

ويستطرد فى مدح الشيب والترحيب بقدومه واصفاً إياه بنور أضاء ذوائبه نافياً عنه كونه سبباً فى إعراض الحبيب أو أنه سبب لجزعه وإظهار عيوبه **فيقول**:

---

١) الشريف الرضى، ديوانه، ج٢، ص٦٠٧.

٢) الشريف الرضى، ديوانه، ج٢، ص٩٥٠

٣) الشريف الرضى، ديوانه، ج٢، ص٩٢٢.

وقالوا الشيب زارك فقلت أهلاً بنور ذوانب الغصن الرطيب

ولم آك قبل وسمك لى محباً فيبعد بى بياضك من حبيب

ولا ستر الشباب علىّ عيباً فأجزع ان ينم على عيوبى.(١)

وهذه الأبيات تتنافى مع ما ذكرناه سابقاً فى ذمه للشيب ووصفه إياه بضيف ثقيل الظل لا مرحباً به وأنه كان سبباً فى عزوف الغوانى عنه ! وربما كان سبب هذا التناقض أن هذه الأبيات وردت فى مضمار مدحه لبعض الحكام ممن بلغ بهم الشيب مبلغه.

كما يقول أيضاً فى مطلع قصيدة نظمها فى مدح أبيه :

أرابك من مشيبى ما أرابا وما هذا البياض على عابا

لئن أبغضت منى شيب رأسى فإنى مبغض منك الشبابا

وكانت سكرة فصحوت منها وأنجب من أبى ذاك الشرابا.(٢)

١) الشريف الرضى، ديوانه، ج١، ص٨٠.

٢) الشريف الرضى، ديوانه، ج١، ص٧٣.

المقارنة الأدبية:

بعد الدراسة التحليلية لمحاور تجليات الشيب والكبر لدى الشاعرين ، نعرض فيما يلى مقارنة أدبية فيما بينهما ، حيث تبين لنا وجود أوجه تشابه وإختلاف فى مضامين أشعارهما .

أولاً: أوجه التشابه:

١. اتفق الشاعران على بكاء الشباب والأسف على رحيله والتعبير بمرارة وحسرة على انصرامه السريع والحنين لعهده وتمنى عودته.

٢. جعل كل من الشاعرين أشعاره سجلاً للتأريخ لسنوات عمره

٣ـ الشيب سبب لعزوف المرأة وإختلاف نظرتها للرجل ونفرتها منه وابتعادها وصدودها عنه بعد إقبالها عليه فى شبابه .

٤ـ الشيب إيذان بدنو الأجل واقتراب المنية وتردد فى أشعارهما مفردات " الموت والمنية والردى والنهاية والرحيل " وغيرها من الألفاظ التى وردت مقترنة بالشيب.

٥ـ اتفق الشاعران فى نظرتهما لمرور الزمان والإقرار بحتمية الأستسلام لتصاريف الدهر فما من مجال لمجابهته لأن من يحارب الزمان لن يجد له نصيراً.

ثانياً : أوجه الإختلاف:

ترك الشيب وما يتبعة من ألم بالغ الأثر على نفسية كل من كسائى والرضى بينما اختلف هذا التأثير حسب اختلاف نشأة الشاعرين وشخصيتيهما.

١. فقد كان الشيب لدى كسائى سبباً مباشراً دفعه للتوجه لعبادة الله حيث يتجلى الأثر النفسى للشيب عنده فى التحول الفكرى و اختلاف نظرته للحياة من حوله فتتغير نظرته للطبيعة والمخلوقات ويتمثل ذلك فى التقرب الى الله تعالى وعزوفه عن مدح الحكام والساسة والتفكر فيما مضى من حياته ومحاسبة نفسه ولومها على ما كان من تقصير، ودعوتها الى الزهد والتوبة والإنابة ، فيعد الرجوع إلى الله تعالى ، والتعبير عن الندم على ما فات من تقصير أيام الشباب من الجوانب الإيجابية التي ظهرت واضحة في الأشعار التي صور فيها كسائى حاله في مرحلة الكبر والشيب.

. بينما إنعكس الأثر النفسى على الشريف الرضى من خلال معاناته وشكواه المتكررة من ظلم الزمان ومرور السنين به مسرعة دون أن يهنأ بها ، فأدى قصر سنوات عمره إلى أنه أخذ يطالعنا برصد تلك السنوات عبر اهتمامه بتأريخ سنه فى العديد من قصائده فهو يرى في الزمان خصما لدودا لأنه يتعامل مع الزمن كمن يراقب سرعة انقضاء الاوقات الهنيئة، فلا يتبقى الا الحرمان والألم النفسى وتمر السنوات مسرعة فقد كان الشباب بالنسبة له ومضة وليس مرحلة كبيرة من العمر.

٢. تباينت الأسباب التى دفعت الشاعرين إلى ذم الشيب تبعاً لتباين شخصيتيهما وما تركه الشيب عليهما من تبعات، فكان ذم كسائى للشيب

نتيجة لما ألم به من تغيرات جسدية متمثلة فى تقوس الظهر وشحوب الوجه وما عاناه من ضعف عام فى قواه وما حل به من أمراض بسبب تقدمه فى العمر.

. بينما جاء ذم الشريف الرضى للشيب بسبب بياض شعر رأسه فهو يراه منظرا يقذى العين وتعافه النفس وتعرض عنه، كما أنه مدعاة لشماتة الأعداء وسرور العذول، ولم نر بين أشعاره ما يشير إلى ذم الشيب بسبب ضعف القوى الجسدية أو الأمراض والوهن.

٣. اختلف الشاعران فى أسباب ودوافع اللجوء إلى الخضاب لمقاومة الشيب ، فيؤكد كسائى أنه لم يلجأ إلى الخضاب بغية التصابى وعودة الشباب بينما يسوق الأسباب المختلفة فتارة يجعله نوعاً من التحايل على الزمان لكونه غير محصن بحكمة الشيوخ ، وتارة أخرى يتخذه حداداً على رحيل الشباب.

. أما الرضى فيقر بأنه أتخذ الخضاب بغرض التصابى ودرءاً لعيوب الشيب أمام الحسان.

٤ـ الصور والمناظر عند كسائى تتباين عنها عند الرضى ، فقد استطاع كسائى بذوقه الفنى وبراعته فى التصوير استخدام صور وتشبيهات استمدها من الطبيعة حوله ، فحينما يتحدث عن قوامه وما آل إليه من ضعف ووهن يرسم لنا صوراً حية تشعر القارئ وكأنه يراه أمام ناظريه ، موظفاً فى ذلك مفردات الطبيعة التى وردت بكثرة فى أشعاره كالسرو و الچنار والروضة والشقائق والأزهار بأنواعها والحيوانات والطيور والجليد والسحاب والنجوم كما وظف الألوان المتباينة كالأحمر والأصفر والأزرق بالإضافة للأبيض والأسود.

ـ بينما يختلف توظيف مفردات الطبيعة عند الرضى فقد اكتفى من الألوان بالأبيض والأسود – لونى الشيب والشباب– واتخذ من مفردات الطبيعة ما يعبر أيضاً عن السواد والبياض كالليل والنهار والشمس والقمر ومن الطيور اختار الغراب لسواد لونه .

نقاط إنفرد بها أحد الشاعرين:

تفرد الشريف الرضى بعدة نقاط لم نجد ما يماثلها عن كسائى وهى:

١. تردد فى ديوان الرضى أشعار يذم فيها الشباب ويصفه بالضلال والصدئ والجنون ونراه فى المقابل يمدح الشيب ويصفه بالضياء والجمال ويجعل منه السيادة والجلال، وأن الشيب أفضل ما يتوج رأس الفتى.

٢ـ ويذكر أن الشيب ليس علامة على انقضاء الأمانى والرجاء ، حيث لم يحل برأسه نتيجة لتقدم العمر وإنما لكثرة ما عارك فى الحياة من خطوب وصراعات .

خاتمة البحث ونتائجه:

بعد هذه الدراسة التحليلية التى تناولت فيها المعالجة الشعرية لتجليات الشيب والكبر عند كسائى مروزى والشريف الرضى والتى جاءت فى مبحثين اساسيين تناولت فى المبحث الأول التعريف بالشاعرين ونشأتيهما مع توضيح مظاهر التأثير والتأثر فيما بينهما ، وتناولت فى المبحث الثانى محاور تجليات الشيب والكبر عند كل من الشاعرين وذلك من خلال القراءة الدقيقة والمتفحصة لدواوين الشاعرين وإستخلاص ما بها من أشعار تتعلق بموضوع الدراسة ، مع ترجمة أشعار كسائى من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية ، كما قمت بشرح وتحليل ما استخلصته من أشعار لكل من الشاعرين .

وقد خلص البحث إلى عدة نتائج أهمها:

١- عاش الشاعران فى النصف الثانى من القرن الرابع وأوائل النصف الأول من القرن الخامس الهجريين .

٢- تعلم كل منهما العلوم المتعارف عليها فى زمانهما وكان على صلة بساسة عصره وحكامه.

٣- كان كل من الشاعرين شيعياً إثنى عشرياً نهل من مناهل المعارف الشيعية وله أشعار فى مدح آل البيت

٤- وجود صور مشتركة من الأشعار التى تصف مرحلة الشيب عند الشاعرين.

٥- كشفت الأشعار التى تحدث فيها الشاعران عن بكاء الشباب عن حنينهما لأيام الشباب وتمنى عودتها ومدى ما شعرا به من ألم وحسرة على فراقه .

٦- صورت الأشعار التى تناولت الشيب ما كان يعانيه الشاعران فى تلك المرحلة وما لها من أثر سلبى على نفسيهما.

٧- وضحت الأشعار موقف المرأة من الرجل ورفضها له فى تلك المرحلة وما إنتاب الشاعرين من حزن وأسى إزاء هذا الرفض والإعراض

٨- بينت الأشعار أن مرحلة الشيب والكبر عند كسائى مروزى هى مرحلة الزهد والتوبة والرجوع إلى الله عز وجل.

٩- لجأ الشاعران إلى مقاومة الشيب بالخضاب مع التصريح بذلك فى أشعارهما مع إختلاف الدوافع

١٠. لم يجد أي من الشاعرين مناصاً من الإستسلام لتصاريف الدهر ومسالمة الزمان.

هذا وأرجو من العلى القدير أن أكون قد اضفت لبنة علمية إلى صرح الدراسات الأدبية المقارنة وألقيت بعض الضوء على شعر كل من كسائى مروزى والشريف الرضى .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

المصادر العربية

- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبين، ت ٢٥٥ هـ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون جـ ٢،القاهرة،٢٠٠٣م،

- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق دكتور احسان عباس المجلد الرابع،دار صادرات بيروت (بدون)

- أبو زيد محمد بن الخطاب القرشى ، جمهرة أشعارالعرب ، تحقيق محمد على البجاوى، دار نهضة مصر القاهرة (بدون)

- أبوعلى الحسن بن رشيق القيروانى ، العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق، محمد محى الدين، دار الجيل، بيروت ،ط٤ ١٩٧٢م

- ابو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى ، تاج اللغة وصحاح العرب، تحقيق محمد محمد تامر ، دار الحديث القاهرة ٢٠٠٩م.

- جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مادة شيب، ج ١، طبع ٢٠٠٣م ..

- جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى، ، انباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، جـ٣ ، القاهرة ١٩٥٥م.

- الحافظ أبو بكر على بن الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، جـ٢، ط١، القاهرة ١٩٣١م

- خير الدين الزركلى ، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين،ج،٦، بيروت لبنان.(بدون).

- الشريف الرضى ، ديوان ،جـ١ ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى سلسلة التراث ، الجمهورية العراقية ١٩٧٦م.

- الشريف الرضى ، ديوان ،ج١ ،ج٢ ، تصحيح وطبعه، احمد عباس الأزهرى ، بيروت، ١٣٠٧هـ.

- شهاب الدين، النويري ت ٧٣٣هـ ، نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ ٢، دار الكتب،وزارة الثقافة والإرشاد القومي مصر(بدون)

- على بن الحسن بن أبى الطيب الباخرزى ت ٤٦٧هـ، دمية القصر فى عصرة أهل العصر، تحقيق محمد التونجى ، جـ١ دار الجيل بيروت ١٩٩٣م.

- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز ، الهيئةالعامة لشئون المطابع الأميريه ، مادة الشيب ، القاهرة ١٩٩٣م .

- مهيار الديلمى ، ديوان ، تحقيق وتقديم ،أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، ا، الجزء الأول، القاهرة ٢٠٠٨م .

المراجع العربية و المترجمة

- إبراهيم باستانى باريزى ، يعقوب بن الليث الصفارى ، ترجمة محمد فتحى يوسف إدريس، دار الرائد العربى ، بغداد ،(بدون)

- ادوارد جرانفيل براون، تاريخ الأدب فى إيران ، ترجمة، ابراهيم أمين الشواربى، جـ٢ ، المشروع القومى للترجمه ، القاهرة ٢٠٠٥م.

- أدونيس ، ديوان الشعر العربى ، المجلد الأول، القاهرة ٢٠٠٦م.

- باديس فوغالى ، الزمان والمكان فى الشعر الجاهلى ، عالم الكتب الأردن، ٢٠٨٨م.

- حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٥م.

- رضا زاده شفق ، ، تاريخ الأدب فى إيران ، ترجمة، محمد موسى هنداوى. دار الفكر العربى القاهرة ، ١٩٤٧م.

- زكى مبارك ، عبقرية الشريف الرضى، القاهرة ٢٠١٢م.

- سعيد علوش ، مدارس الادب المقارن ، المركز الثقافى العربى ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

- الطاهر أحمد مكى "دكتور"، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه ، دار المعارف ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٨٧م .

- عبد الرفيع حقيقت ، دور الإيرانيين فى تاريخ الحضارة العالمية، ترجمة علاء عبد العزيز السباعى" دكتور" الطبعة الاولى القاهرة ٢٠١٢م.

- فخرى الدباغ ، أصول الطب النفسيى، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ،١٩٧٧م.

- فؤاد البهى السيد ، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، دار الفكر العربى ط٢ ، القاهرة ،١٩٦٨.

- محمد رضا شفيعى كدكنى ، الأدب الفارسى منذ عصر الجامى وحتى ايامنا ترجمة وتقديم ، بسام ربابعة، الكويت ٢٠٠٩م .

- محمد سيد فهمي ، الرعاية الاجتماعة لكبار السن، دارالمعرفة الإسكندرية ،١٩٩٥ م.

- محمد غنيمى هلال ، مختارات من الشعر الفارسى، راجع الترجمه ، أحمد رامى، القاهرة ١٩٦٥م.

- النقد الأدبى الحديث، طبعة بيروت ، ١٩٨٢م.

- محمد كمال الدين يوسف ، الأدب والمجتمع، تقديم يحى حقى ، القاهرة ١٩٦٢م.

- محمود شاكر ، المتنبى ، مكتبة الخانجى القاهرة ، ١٩٨٧م .

المراجع الفارسية

- احمد بن عمر علی نظامی عروضی سمرقندی ت ۵۵۰هـ ق، چهارمقاله، به کوشش محمد معین، تهران ۱۳۲۸هـ .

- جعفر شعار" دکتر" گزینه اشعار کسائی مروزی، تهران ۱۳۷۰هـ ش.

- سید مهدی طباطبایی ، بررسی زندگی کسایی مروزی بر اساس خوانشی جدید از قصیده لامیه، ادبیات و زبانها، تاریخ ادبیات، پاییز ۱۳۸۸، شماره ۶.

- کسائی مروزی دیوان اشعار، مرکز تحقیقات رایانه ای قائمیة اصفهان،، چاپ ۱۳۷۴،

- محمد رضا شفیعی کدکنی، صور خیال در شعر فارسی،چاب سوم، تهران ۱۳٦٦هـ ش

- مرتضی مطهری، الإسلام وایران محمد هادي اليوسفي الغروي ، جـ ۱ الناشر: قسم العلاقات الدولية منظمة الاعلام الاسلامي (بدون)

- مهدی درخشان"دکتر " اشعار حکیم کسائی مروزی وتحقیق در زندگانی واثار او، تهران ۱۳۷۵ هـ ش.

- میرجعفری، سیداکبر، اصلاحی، شعر و ادب: کسایی مروزی، علوم تربیتی، رشد معلم، مهر۱۳۸۸ - شماره۲۴۲،

- یحیی مقدّسان، ولادت کسایی مروزی شاعر اهل بیت علیهم السلام، گلبرگ، آبان ۱۳۸۶، شماره۹۲.

مواقع إلكترونية

http://news.irib.ir/2014-12-10-06-21-12/2015-01-19-09-52-14/item/65248

http://www.afghanismailis.com/?p=5